الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحي-جيجل-
كلية الآداب واللـغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

منهج البحث اللغوي بين المدرستين البصرية والوظيفية

-دراسة مقارنة-

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبتين:

- نادية بوطغان
- نتيجة بوكلاب

إشراف الأستاذ:

- عبد الحق مجيطنة

أعضاء لجنة المناقشة:

❖ الأستاذ:	صلاح الدين باوية	رئيســـــا
❖ الأستاذ :	عبد الحق مجيطنة	مشرفا ومقررا
❖ الأستاذة:	جميلة بورحلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2016-2017م

1437- 1438هـ

شكر وعرفان

﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ سورة النحل –19–

نحمد الله ونشكره جزيل الشكر على نعمة العمل وعلى توفيقه لنا في أداء هذا العمل، ونصلّ ونسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه.

وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم «**مَنْ لاَ يَشْكُر الناس لاَ يَشْكُر الله** »، نتقدم بجزيل الشكر وصدق الوفاء والإخلاص إلى الأستاذ "**عبد الحق مجيطنة**" على نصائحه القيمة التي مكنتنا من إخراج هذا العمل، فله منّا فائق الشكر والتقدير.

ولا يفوتنا أن نتقدّم إلى الذين مهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة طوال مشوارنا الدراسي أساتذتنا الكرام من مرحلة التربية والتعليم إلى مرحلة التعليم العالي والبحث العلمي، لهم منا جميعا جزيل الشكر.

وحتّى لا يكون النسيان حجّة علينا نتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى كل من كان له الفضل في إمدادنا بالكلمة الطيبة والابتسامة العطرة، وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل.

ونسأل الله عزّ وجلّ أن نكون قد وفّقنا في إنجاز هذا العمل ونرجو من الله توفيقا إلى ما فيه الخير لنا.

.

مقدمـة

مقدمة:

إن التفكير في الظاهرة اللغوية تفكير قديم قدم الإنسان في هذا الكون، إذ انتبه إلى هذه الظاهرة الملازمة له فطرح بشأنها عدة تساؤلات، منها ما يتعلق بأصل نشأتها، ومنها ما يتعلق بمراحل تطوّرها عبر التاريخ، إلى أن ظهرت في شكل أبحاث ودراسات لغوية.

وقد استوجب البحث في الظاهرة اللغوية الاعتماد على مناهج بحث من أجل تحليلها وتفسيرها، لوضع تلك القواعد التي تضبط مستويات البحث فيها، فكان المنهج منطلق البحث في تراثنا اللغوي العربي، وكذلك الدراسات اللغوية الغربية، بحيث لا يمكن لأي باحث أن يلج باب الدراسات اللغوية، دون الاعتماد عليه.

ومن هنا حظي هذا الأخير باهتمام كبير من قبل الباحثين واللغويين محاولة منهم لمعرفة تلك الأسس المنهجية التي يقوم عليها البحث اللغوي العربي والغربي، فارتبط المنهج بظهور مدارس لغوية اتخذته منطلقا لدراستها، من بينها نجد المدرسة البصرية في الدرس اللغوي العربي، والمدرسة الوظيفية في الدرس اللساني الحديث.

وهذا ما أدى بنا إلى محاولة الكشف عن المنهج الذي اتبعته المدرسة البصرية في بحثها اللغوي، ومقارنتها بمنهج البحث اللغوي في المدرسة الوظيفية في ضوء تلك المناهج الحديثة، ونتيجة لذلك سنحاول طرح بعض الأسئلة منها:

- ما هو المنهج؟ وما هي أهم المناهج التي اعتمدتها المدرسة البصرية والمدرسة الوظيفية في دراستها اللغوية؟.
- وكيف تجلّت تلك النظرة في وضعهم لقواعد اللغة على المستوى النحوي والصوتي والصرفي؟.
- وفيما يتجلى ذلك التوافق والاختلاف بين تصوّراتهم المنهجية؟.

وقد اقتضى منا موضوع هذا البحث إتباع المنهج الوصفي التحليلي المقارن؛ لأنه الأنسب لهذا النوع من الدراسات، وهذا ما دفعنا إلى وضع الخطة التالية للإجابة على الأسئلة المطروحة سابقا، إذ انبنت هذه الخطة على مدخل وثلاث فصول وخاتمة.

مقدمة:

خصصنا المدخل لعرض نشأة الدراسات اللغوية عند العرب والغرب، ومهدنا في الفصل الأول للتعرف على مناهج البحث اللغوي، فتناولنا تعريف المنهج من الجانب اللغوي والاصطلاحي، وكذا البحث اللغوي في صورته العامة، مرورا إلى ذكر أهم مناهج البحث في اللغة.

أما الفصل الثاني فقد تناولنا فيه منهج البحث اللغوي في المدرستين البصرية والوظيفية، وقد تمحور حول نشأة المدرستين مع أبرز أعلامهما، وبعض الخصائص والمبادئ التي انبنت عليها دراستهم، كما تطرقنا إلى منهج كل مدرسة ومستويات البحث فيهما.

فيما خصصنا الفصل الثالث للدراسة التطبيقية فكانت عبارة عن مقارنة بين المدرستين من حيث المنهج ومستويات البحث اللغوي الثلاث (المستوى النحوي، المستوى الصوتي، المستوى الصرفي).

أما الخاتمة فكانت حوصلة لموضوعنا، تضمنت مجموعة من النتائج التي توصل إليها البحث.

وهذه الدراسة جديرة بالبحث، خاصة وأنها محاولة لإبراز ذلك التوافق والاختلاف بين طريقة دراسة وتحليل اللغة في التراث العربي المتمثل في المدرسة البصرية والدرس اللساني مع المدرسة الوظيفية.

لذا كان من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع وجود أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فالسبب الذاتي: هو إطلاعنا على أصالة الدراسات العربية القديمة، التي تميزت عن الدراسات اللسانية الحديثة، خاصة من ناحية "المنهج" الذي ارتبط بتصورات علمائنا الأوائل والنظر إليه من منظور الدرس اللساني الوظيفي.

أما السبب الموضوعي فهو لقلة الالتفات لهذا النوع من الدراسة.

نرمي من وراء هذه الدراسة الموسومة بمنهج البحث اللغوي بين المدرسة البصرية والمدرسة الوظيفية دراسة – مقارنة– إلى:

أولا: تحديد المنهج الذي امتازت به مستويات البحث عند البصريين والوظيفيين.

ثانيا:معرفة ذلك التوافق والاختلاف الموجود بين المدرستين.

ولا نعتقد –حسب اطلاعنا– أن ثمّة دراسات تناولت هذا الموضوع وبالأخص تلك المقارنة بين مدرسة لغوية قديمة ومدرس لسانية حديثة من ناحية "المنهج"، وإنما توجد دراسات قليلة تناولت بعض الجوانب التي أفادتنا منها: مذكرة لنيل شهادة الماجستير بعنوان: مناهج البحث اللغوي في ضوء اللسانيات المعاصرة، وأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان: نظرية النحو العربي ومناهج الدرس اللغوي الحديث.

وكأي باحث أكاديمي فقد اعترضتنا بعض الصعوبات والعراقيل نلخصها فيما يلي:

- تعدد آراء المنظّرين حول مناهج البحث في اللغة.
- صعوبة فهم بعض المصطلحات اللغوية ووجود بعض الغموض.
- قلة المراجع في الجانب التطبيقي.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على العديد من المراجع أهمها: البحث اللغوي عند العرب لأحمد مختار عمر، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث لعلي زوين، في اللسانيات العامة لمصطفى غلفان، وعلم اللسانيات الحديثة لعبد القادر عبد الجليل، كما اعتمدنا على مصدرين أساسيين في الجانب التطبيقي مؤلف "الكتاب" لسيبويه، مبادئ في اللسانيات العامة" لأندري مارتيني.

ونغتنم فرصة تقديم هذا الجهد، الذي نتمنى أن يحظى بالقبول والرضا، ونوجه خالص شكرنا وامتنانا لكل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد، وننوّه بالفضل والتقدير لأستاذنا المشرف "**عبد الحق مجيطنة**" الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته حتى بلوغ هذا البحث صورته النهائية.

وفي الأخير نعتذر عن كل خطأ أو سهو صدر منا، فإن أصبنا فبتوفيق من الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان والله وراء القصد.

مدخل: نشأة الدراسات اللغوية العربية والغربية

أ- بداية الدراسات اللغوية عند العرب.

ب- بداية الدراسات اللغوية عند الغرب.

تمهيـــد:

خطت العديد من الكتب العربية والغربية التي وصلتنا عبر التاريخ، بين ثنايا أوراقها جهود العلماء والباحثين القدامى، الذين وضعوا بصماتهم الأولى في البحث اللغوي، معبّرة عن أصالة وثراء أفكارها في شتى مجالات الدراسات اللغوية، منذ انطلاقتها الأولى إلى غاية خروجها إلى الوجود في شكل مدارس ونظريات حددت منهج بحثها اللغوي، فكان المنهج مفتاح معرفة الدراسات اللغوية.

والمتتبع لتاريخ البحث اللغوي عند العرب والغرب يجد ذلك التطور الكبير الذي شهدت له العديد من المؤلفات إذ غدا موضوع العديد من الأبحاث الحديثة.

وفي بحثنا هذا لنا وقفة عند مفهوم المنهج عموما خاصة وأنّ دراستنا متعلقة بمنهج البحث اللغوي وبالتحديد بين المدرسة البصرية والمدرسة الوظيفية.

وعلى حد معرفتنا فإنه لا يستطيع أي باحث أو عالم ولوج باب منهج البحث اللغوي، دون تسليط الضوء على أوليات الدراسات اللغوية – العربية والغربية_، إذ يتسنى له معرفة المراحل التي مرّ بها البحث اللغوي بإتباع المنهج دراسة وتطبيقا.

أ–بداية الدراسات اللغوية عند العرب.

كان العرب يتكلمون اللغة بيسر وسهولة في تراكيبها وأساليبها وأصواتها، فتمكنت من طبائعهم ومرنت عليها ألسنتهم، فلم يحتاجوا إلى قواعد تنظم وتضبط لغتهم، وبالرغم من فصاحة ألسنتهم وبلاغة ألفاظهم، وبيان معانيهم، إلاّ أنهم لم يعرفوا أي نوع من الدراسات اللغوية قبل الإسلام، إذ اقتصرت معارفهم على الشعر والخطابة وتداول أخبارهم وحروبهم على عكس بعض الأمم التي أثبت التاريخ أنها خلفت دراسات وبحوث لغوية قبل الإسلام بقرون من الزمن.

وبنزول القرآن الكريم حدث تحوّل فكري وحضاري في البيئة العربية، إذ توسعت معارف العرب وأفكارهم بمجيء هذا الدين الجديد الذي أنزل بلسانٍ عربي مبين، فانصرف الناس إلى تعلّم أحكامه وفهم معانيه وتفسيراته من قبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) والصحابة (رضوان الله عليهم)، فكانت تقام جلسات تعلم وتفقه للقرآن ونستطيع القول أنّ هذه الدروس الفقهية من المحاولات الأولى التي قام بها المسلمون الأوائل لأنهم وجهوا اهتمامهم الأول إلى العلوم الشرعية والإسلامية، لارتباط هذه العلوم بالقرآن الكريم فألفوا في الفقه وتفسيره، وكذا الحديث النبوي الشريف، وهذا ما عبر عنه السيوطي في قوله «**إنّ منتصف القرن الثاني هجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوي الشريف ويؤلّفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني، بعد أن تم تدوين العلوم اتّجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومن بينها اللغة والنحو**»[1]

هذا التأليف المبكر للغة، ودلالة ألفاظها التي يتداولونها في الدراسات القرآنية واللغوية بشكل عام دليل واضح على اهتمام العلماء بالدراسات اللغوية، وإن كانت تعدّ مجرد محاولات أوليّة، إلاّ أنها استمرت طيلة القرون الأولى متخذة من القرآن الكريم مرجعها الأساس.

[1] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم النشر، القاهرة، ط6، 1988، ص 80.

وتوسعت بتوسع الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام في كافة الأقطار، فامتدت اللغة العربية مواكبة الدعوة الإسلامية التي كان من نتائجها أن دخل العديد من الأعاجم في الإسلام، واتجهوا إلى تعلّم أصول الدين من منابعه الأصلية.

لكن السليقة العربية ما لبثت أن فسدت، وتغيرت ملامحها إذ ظهر اللحن في اللسان العربي، وامتلكه نتيجة لاحتكاك العرب بالعجم في النطق والسّمع، فكثر اللّحانون في الوسط العربي، هذا الأخير الذي تميز بالفصاحة وهذه الظاهرة كانت وليدة تأثير وتأثر، وفي هذا المجال قال الزبيدي: «**لم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى اظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا عليه أرسالًا، واجتمعت الألسن المتفرقة، واللغات المختلفة فغشا الفساد في اللغة العربية**»[1]؛ بعد كثرة الألسن الأعجمية في أوساط العرب انتشر اللحن حتى امتدّ إلى العرب الخلص في بعض الحواضر والبوادي «**ممّا جعل الغيورين من العلماء والخلفاء يسعون للحيلولة دون اللحن، ففكّروا في وضع ضوابط تكون نبراسًا يُرْجَعُ إليه**»[2]؛ لقد جعلت هذه الظاهرة العلماء ينظرون إليها نظرة تبصّر وتأمّل خوفا من زحفها ووصولها إلى النص القرآني، وكذا ألسنة العرب الأقحاح.

هذا التبصّر والتفكر جعلهم يتّجهون إلى الصحراء العربية وجمع اللغة العربية من أفواه العرب الخلص، ووضع قواعد وضوابط للغة العربية رغبة منهم في صيانة اللسان العربي والحفاظ على القرآن الكريم بما يحتويه من ألفاظ ومعانٍ.

ولا شك في أنّ هذه الدوافع كانت تربة خصبة لنمو البحث اللغوي عند العرب ونشأة الدراسات اللغوية التي مرّت بمراحل واتجهت اتجاهات متنوعة حتى بلغت أوجها فكانت الانطلاقة الأولى لها مع ما قام به العلماء الأوائل من جمع للمعطيات اللغوية مشافهة من أفراد العرب الأقحاح، دون إتباع أي منهج في البحث «**فظلت**

---

[1] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب "مع دراسة لقضية التأثير والتأثر"، ص 86.

[2] إبراهيم عبود السامرائي: المدارس النحوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط2، 2010، ص 19.

الرواية الشفوية، والسماع من الأعراب طليعة الدرس اللغوي، وبخاصة في القرن الأول، والنصف الأول من القرن الثاني»[1]؛ أصبحت الرواية والسماع المنهج الذي قام عليه الدرس اللغوي، وكلّل في النهاية بظهور العديد من المؤلفات، حيث بدأ التدوين اللغوي يعطي ثماره، بعدما كانت مجرد محاولات كان الحافز إليها دينيا.

ومن بواكير ما ظهر من مصنفاتهم كتاب "غريب القرآن" لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما (68هـ) وغريب الحديث قد ظهر متأخرا [2] وكذلك محاولة أبي الأسود لضبط المصحف (69 هـ) بغضّ النظر عما ظهر في هذه الفترة، فإنه ظهر في سياق تفسير الحديث والقرآن خوفا من تحريفها.

واصل العلماء التأليف، واتجهوا وجهة أخرى نحو التبويب والتصنيف كلّ بطريقته الخاصة، فظهرت في شكل رسائل لغوية منفصلة ذلك «**أنّ الظهور المبكر لفكرة الجمع الموضوعي للألفاظ على نحو ما يتمثل في الرسائل اللغوية... ومن أشهر الموضوعات التي تم التأليف فيها خلق الإنسان، خلق الإبل...**». [3]

اشتملت هذه المؤلفات والرسائل على ظواهر مختلفة من اللغة، وقد كانت هذه الرسائل العينة الأولى لظهور المعاجم اللغوية إذ «**اعتمدوا عليها، وتوسعوا في الشرح والتفسير حتى وصلوا إلى قمة التأليف...وأصبحوا يطلقون عليها عدة ألفاظ معاجم المعاني، معاجم الموضوعات**»[4] ، اعتمدت المعاجم التي ظهرت على ما احتوت عليه تلك الرسائل الصغيرة «...**وهكذا توجّت هذه الجهود، بظهور المعاجم اللغوية المنظمة التي كان رائدها الخليل بن أحمد الفراهيدي (100– 175هـ) ذلك بوضع معجم العين**»[5]، ومن هنا كانت تلك المؤلفات (الرسائل والمعاجم) من بواكير ما ظهر في البحث اللغوي الذي اختتم مراحله الأولى بظهور الدرس النحوي.

---

[1] حمودي زين الدين المشهداني: الدراسات اللغوية "خلال القرن الرابع الهجري"، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط1، 2005، ص 24-25.

[2] نادية رمضان النجار، عبد الراجحي: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار وفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، دط، دس، ص 86.

[3] سعيد حسن البحيري: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2004، ص 12.

[4] المرجع نفسه: ص 72.

[5] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 124.

وأخيرا ظهر الدرس النحوي في مدينة البصرة، وقد كانت هذه الأخيرة السباقة إلى تشييد صرح النحو العربي ورفع أركانه تأصيلا وتقعيدا، إلى جانب الكوفة، وإن تأخرت بعض الوقت لانصرافها إلى رواية الأشعار والأخبار فأهلها هم أهل رواية ونقل، وأهل البصرة هم أهل عقل ودراية، وقد أكد هذا ابن سلام في قوله «**وقد كان لأهل البصرة في العربية قدمه، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية**»[1]، لقد اهتم البصريون باللغة العربية عامة وبالنحو خاصة فطوّروه، وقد نشط بشكل كبير نظرا لتوفر الظروف والعوامل (الثقافية، السياسية، الجغرافية) المساعدة على ذلك، والتي جعلته يزدهر على يد علمائها، بداية من عهد الخليل بن أحمد ومعاصريه.

إن هذه الخلفيات التي ساعدت البصرة في دراستها النحوية وجعلتها تبلغ الآفاق، كانت ولا بدّ سببا في تأخر النحو عند الكوفيين، بدليل أن أكثر علمائها تتلمذوا على يد علماء البصرة، إلاّ أنّها تفوقت في الجانب الفقهي لدرجة أنها نافست البصريين في تدريس القرآن الكريم وتعليمه والعناية بالقراءات القرآنية «**وفي نفس الفترة كان الخليل وسيبويه ينشران علمهما بالبصرة وجد عالمان بالكوفة انشغلا بالنحو ولم يبلغا في الشهرة مبلغ الخليل وسبويه وهما أبو جعفر الرؤاسي ومعاذ الهراء**»[2] ومع ظهور هذان العالمان نشأ النحو في الكوفة وبدأ يتطور بتوالي طبقات العلماء.

تضافرت جهود كل من علماء البصرة والكوفة في النهوض بالدرس النحوي والصرفي، وتنافسا في البحث والإنتاج في إطار ما اصطلح على تسميته بالخلاف بين المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية في المسائل والعوامل والاصطلاحات، وقد نشأ هذا الخلاف من جراء « **تباين المنهجين إنّما هو في النحو أو بعبارة أخرى بسبب طبيعة الدرس النحوي**»[3]، وبالرغم من استعمالهما للأصول نفسها، واستخدامهما للوسائل نفسها (السماع، القياس)، إلاّ أنهما اختلفا في استنباط الأحكام ووضع القواعد.

---

(1) إبراهيم عبود السامرائي: المدارس النحوية، ص 23.

(2) أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 126.

(3) عبد المجيد عيساني: أصول وشواهد الاتجاهات النحوية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2011، ص 40.

كان لهذه الخلافات دور بارز وهام في وصول الدرس النحوي إلى مرحلة النضج والكمال، فقد اكتملت معالمه بالبصمة التي وضعها سبويه والمتمثلة في مؤلفة "الكتاب" «**بدأ بالنحو وثنى بالصرف صنيع من يراهما علمين**»[1] شمل هذا الكتاب كل أسس ومبادئ الدرس النحوي والصرفي في البحث اللغوي الذي قام به العلماء الأوائل، كما ساهم في تبلور أفكار واتجاهات مدارس، ومذاهب أخرى ظهرت بعد المدرستين (البصرية والكوفية)، فكان الدرس النحوي والصرفي فيها مجرد شروح واختصارات لما سبقوها.

تطور البحث اللغوي ليشمل أيضا الدرس الصوتي، إذ كان له نصيب من البحث والتأليف، وإن لم يظهر كعلم قائم بذاته، إذ تناوله علماء اللغة وأدرجوه ضمن مؤلفاتهم من مفردات وألفاظ واشتقاقات كان مرجعها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب شعرا ونثرا، بالإضافة إلى حكمهم وأمثالهم، فقد ورد في بعض المؤلفات كمدخل أو كفصل من الفصول «**ومن المعروف أن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) هو أول من درس الحروف على أساس صوتي، فقد رتب معجمه على أساس مخارج الحروف، فوضع لكل حرف تسمية، وحسب أعضاء النطق الإنساني، ابتداءًا بأصوات الحلق وانتهاءًا بأصوات الشفتين**»[2]؛ هذا دليل على اعتناء علماء العرب الأوائل بدراسة الأصوات فقد عالج الخليل في معجم **"العين"** الترتيب الصوتي للمفردات، وبعده تلميذه سبويه (**180 هـ**) [3]، الذي درس أصوات الحروف ومخارجها وصفاتها في مؤلفه **"الكتاب"**.

وقد واصل العلماء التأليف في دراسة الأصوات وجلّ الأمثلة التي وجدت بين ثنايا مؤلفات النحاة دليل على ذلك، نستطيع القول بأن الدرس الصوتي تطور ليصبح علما قائما بذاته هو **"علم التجويد"** فنجد أبو بكر الباقلاني في كتابه **"إعجاز القرآن"** تضمن العديد من المباحث الصوتية بقصد تحليل الآيات القرآنية، وأول من

---

[1] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 121.

[2] حمودي زين الدين عبد المشهداني: "الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري"، ص 263.

[3] المرجع نفسه: ص 263.

أفرد الدرس الصوتي كمؤلف مستقل بذاته كتاب خاص **"سر صناعة الإعراب"** لابن جني واستعمل لمصطلح **"علم الأصوات"** هذا المصطلح البديل الذي مازلنا نستعمله حتى اليوم. [1]

لابدّ أن اهتمام العلماء والنحاة بدراسة الأصوات، هو اهتمام بطريقة ترتيب معاجمهم وتبويبها، وأول من استعمل هذه الكلمة في الدراسات اللغوية العربية قديما هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد أشار إلى ذلك بقوله «**والمعجم: حروف الهجاء المقطعة، لأنّها أعجمية وتعجيم الكتاب تنقيطه كي تتبين عَجَمته وتصحّ**».[2]

ظهرت المعاجم اللغوية وكان العلماء يطلقون لكل مؤلف اسما خاصا فذلك **"العين"**، وذاك **"الجمهرة" وغيرها**، إلاّ أنّ الخليل أول من أطلق لفظ **"المعجم"** وإن كان إطلاقا متأخّرا.

وتشهد كتب الطبقات والتراجم والمجهود الذي بدله العلماء الأوائل في الصناعة المعجمية، إذ تفننوا في أشكال معاجمهم ومنهج وضعها فكانت هناك **"معاجم المعاني"** ، و" **معاجم الألفاظ**" ورتبت ترتيبات مختلفة الترتيب الصوتي، والترتيب الألفبائي وغيرها من الترتيبات.

واستمر التأليف في المعاجم اللغوية طيلة القرون الموالية مقدما عينات فريدة من ألفاظ اللغة العربية، فقد وجد في القرن الثالث معجم لابن السكيت يحمل اسم **"الألفاظ"**، وشهد القرن الرابع هجري معجما سار على طريق الخليل، هو معجم **"المحيط"** للصاحب بن عباد (**324– 385هـ**). [3]

إنّ اهتمام العلماء بالمعاجم وطريقة وضعها وتصنيفها، هو اهتمام بالجانب الدلالي، فقد تناولوا ظواهر لغوية مختلفة أخذت مادتها الأولى، من تلك الرسائل التي حوت مختلف المواضيع، فكانت النواة الأولى في تاريخ الدرس الدلالي، خاصة وأنّها رصدت في معاجم متخصصة، عرفت "بالمعاجم الموضوعية" ويكفينا قولا أن علم الدلالة قد

---

[1] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 100- 101.

[2] حمودي زين الدين عبد المشهداني: الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري، ص 182.

[3] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 189- 288.

ظهر لأول مرة مع ابن جني إلاَّ أنّه له جذور قديمة تعود إلى الخليل، وابن الفارسي، ولكن لم يصطلح عليها بهذا اللفظ، فقد اهتم ابن جني بالعلاقة بين اللفظ والمعنى وأنواع الدلالات. [1]

خلاصة:

ومن خلال ما جئنا به نستنتج: بأن الدراسات اللغوية في نشأتها الأولى، كان لها ارتباط وثيق بالقرآن الكريم بداية من المحاولات الأولى والمتمثلة في غريب القرآن وغريب الحديث، خاصة بعد تفشي اللحن بين العرب، ما يدلّ أنّ الدافع الأول للبحث اللغوي كان دافعا دينيا ولغويا محضا.

هذا الاهتمام الذي آل إليه البحث اللغوي يرجع في حقيقة الأمر، إلى الجهود التي قام بها العلماء الأوائل فتنوعت الدراسات بتنوع البحث اللغوي بين (نحو وصرف، ودلالة، صناعة معجمية) فأرست بعدا دراسيا له منهجه وأسسه وعبّرت عن أصالة البحث اللغوي عند العرب.

[1] نادية رمضان النجار، عبده الراجحي: اللغة وأنظمتها، ص 204.

ب– بداية الدراسات اللغوية عند الغرب:

لم تختلف الدراسات اللغوية الغربية، عن الدراسات اللغوية العربية، إذ كانت جلّ المحاولات مرتبطة بالدين والعقيدة.

أما البحث اللغوي عند الغرب، فقد شق طريقه برؤية واضحة مع الهنود في القرن «**الخامس قبل الميلاد**»[1]؛ فكان بحثهم الأول حول دراسة لغة كتابهم المقدس **"ألفيدا"** لفهم نصوصه والحفاظ عليه من التحريف الصوتي واللحن، بالإضافة إلى وضع قواعد للغتهم السنسكريتية (اللغة الهندية القديمة)، ومن ثمّة انصرفوا إلى دراسة هذه اللغة، وضبطها والإلمام بجميع جوانبها بطريقة معمّقة ومنظّمة.

وقد شغلت الدراسات اللغوية عند الهنود حيزا كبيرا، بحيث كانت متنوعة وشاملة في الجانب الصوتي «**فتحدثوا عن الأصوات الرئيسية، وأقسامها، ومخارجها وتنوعاتها حسب طريقة الممر الهوائي، كما تناولوا الأصوات فوق التركيبية كالنبر، التنغيم، المقطع والسكتة**».[2]

ومما يلاحظ عليه أنّ هذه الدراسات الصوتية أفادت الدراسات الصوتية الغربية الحديثة، وفي هذا الصدد يقول **ألن(Alan)**: «**إنّ الاتصال بين الهنود القدماء والمدارس الغربية الحديثة في دراسة اللغة أشد وأوثق في مجال الأصوات عنه في مجال النحو**»[3] ، وهذا ما يؤكد علاقة الدرس اللغوي الغربي بالدرس الصوتي الهندي.

هذا وقد ارتقى الدرس النحوي وبلغ قمته مع أشهر نحاة الهند **بانيني (Panini)**(650 ق م) [4] والذي ألف كتاب أسماه الأقسام الثمانية والذي وصفه **بلومفيلد** في قوله: «**إنّ نحو بانيني يعد واحدا من الشواهد**

---

(1) مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها ومفهومها، دار الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2010، ص 111.

(2) عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002،ص 216.

(3) أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 59.

(4) عبد القادر عبد الجليل: في اللسانيات الحديثة، ص 215.

القديمة على تقدم العقل البشري»[1] وهذا دليل واضح على انبهار اللسانيين الغربيين بالأعمال الهندية القديمة، لدرجة أنهم قاموا بتأصيل بعض دراساتهم على المنوال الهندي.

أما الجانب المعجمي عند الهنود، فلم يلق اهتماما كبيرا، بل كان على شكل شرح لبعض الكلمات الصعبة في كتابهم المقدس، وتطور هذا النظام فيما بعد ليطلقوا عليه «**معاجم الموضوعات، أو معاجم المعاني**».

وخلاصة القول أن الهنود اهتموا بعدّة مجالات من اللغة منها: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية معتمدين في ذلك على الوصف الدقيق لهذه الأنظمة عامة والنظام الصوتي وتركيبها الصرفي خاصة.

ولم يكن الهنود وحدهم من اهتم بموضوع اللغة ودراسة مستوياتها، بل كان للشعوب الأخرى منها: اليونان الرومان والسريان نصيب في ميدان الدرس اللغوي.

فقد كانت اهتمامات اليونان منصبة بالدرجة الأولى على الجانب الصوتي لخدمة النصوص المسرحية، وإلقاء الفنون الشعرية، أما تفكيرهم اللغوي فقد كان مرتبطا ارتباطا شديدا بالفلسفة، وربما أقدم ما وصل من الأبحاث اليونانية، كنا على أيدي السوفسطائين في القرن «السادس قبل الميلاد»[2]، ثم تلاهم من بعد ذلك كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو.

وتستحق الإشارة إلى أنّ أهم المشاكل التي عالجها اليونانيون، ولفتت انتباههم قضية اللغة نفسها، والتي أثارت مسألة جدلية بين الباحثين القدماء.

في حين إذا عدنا للحديث عن الدراسات النحوية عند اليونانيين، فقد اعتبروا أفلاطون هو رائدها، مما قدمه أرسطو هو الآخر لكون أفلاطون تفحص عدة مشاكل نحوية من بينها: «كان أول مكن من فرق بين الاسم

---

[1] عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ص 215.

[2] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 61.

والفعل كما أعطانا تقسيما ثلاثيا للأصوات، وأضاف أرسطو تقسيم أفلاطون للكلمة قسما ثالثا سماه الرابطة...».[1]

وبعد أن كانت الدراسات اللغوية مرتكزة عند السوفسطائيين، انتقلت إلى أيدي الرواقيين، وهناك ظهرت مدرسة الرواقيين، وفصلوا هذه الدراسات عن الفلسفة، وأعطوا هؤلاء شخصية مستقلة لكل من الأصوات والنحو والاشتقاق، وقد عبروا بذلك على أنّ «**معظم اهتماماتهم منصب على النحو وحده، حتى اعتبر بعضهم النحو بمعناه الحديث على أيدي هؤلاء الرواقيين**»[2]؛ وهكذا يتضح أنّ الدراسات النحوية عند اليونانيين بلغت قمتها مع الرواقيين.

هذا وقد اهتم اليونان بالتأليف المعجمي، فكانت لهم معاجم ضخمة، جعلت بعض الدول الغربية يقتبسون منها، وهذا حسب ما تقول دائرة المعارف البريطانية «إنّ "Athenacus" قد اقتبس نصوصا من خمسة وثلاثون عملا معجميا فقدت جميعها»[3]؛ وقد قاموا بتصنيف هذه المعاجم حسب شهرتها ولذلك فإن أشهر هذه المعاجم **معجم أبو قراط**.

ومن ثمَّة فالدراسات اليونانية أيضا شغلت حيزا، ولو لم ترق إلى ما وصل إليه الهنود، فقد كانت لها دراسات لغوية نحوية وصرفية والتي كانت تأسيسا للجهود النحوية التي تأخرت زمنيا ودراسات صوتية تشبه في طريقتها الدّقّة العلمية الحديثة، بالإضافة إلى عنايتهم بموضوع الاشتقاق واستخراج جذور الكلمات من اللغة الإغريقية، كما أنهم اعتنوا كثيرا بالصناعة المعجمية.[4]

لكن الرومان والسريان ساروا على خطى الإغريق، فقد حدث بهم التلمذة إلى التقليد، بحيث طبقوا أغلب المقولات اللغوية اليونانية أثناء وصفهم للغتهم اللاتينية، كما تابعوهم في مسائل كثيرة من اللغة.

---

(1) نعمان بوقرة: اللسانيات، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009، ص 40.

(2) أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 63.

(3) المرجع نفسه: ص 63.

(4) نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 39.

فكانت «**بعض الإشارات التقابلية المعيارية، بين اليونانية اللاتينية (...) تقوم على الاجتهاد الفلسفي (...) كما كانت الترجمة النحوية من اليونانية إلى السريانية (...) وسار النحو السرياني هو الآخر، تقليدا للقواعد الإغريقية**»[1] ؛ وهذا ما يؤكد تأثر الرومان والسريان بالدراسات اليونانية واعتبروها مرجعيتهم.

ومجمل القول أنّه إذا كانت الأسبقية للبحث في اللغة للهنود، فإن الشعوب المذكورة سالفا «**اليونان وبعدهم الرومان والسريان أقاموا صرح الدراسات اللغوية التقليدية، والتي بقيت على حالها على النهج والتصور نفسها في التحليل والمفاهيم في العصور اللاحقة**».[2]

هذا وقد أطلق الباحثون على هذه الفترة "اسم مرحلة التوفيقية" والتي انطلق البحث اللغوي فيها معتمدا على الحدس والتخمين في دراسة جميع مستويات اللغة التي سبق ذكرها، وفي أصل اللغة ونشأتها كما كانت الدراسة في هذه الفترة تعتمد على النهج المعياري الذي يستوجب القاعدة، واللغة المكتوبة، وتبتعد عن اللغة المنطوقة، ممّا أدّى إلى افتقار هذه الدراسة إلى المنهج العلمي، الذي يستوجب الاستقراء والدقة والشمولية والموضوعية.[3]

وبعد هذا العرض الموجز جدا، للجهود التي قام بها اللغويين من الشعوب التي سبق ذكرها، نستنتج أن البحث اللغوي كان شاملا لجميع مستويات اللغة ولكن بدرجات متفاوتة.

فإذا كان البحث اللغوي قد ركز على قضايا جوهرية مثل أصل اللغة ونشأتها، ودراسة مستويات اللغة عند الشعوب التي سبق ذكرها، فقد انتقل هذا الأخير في أوروبا إلى البحث عن العلاقات الموجودة بين اللغات والكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بينهما، وتفسير ظواهرها اللغوية، متبعا في ذلك الدراسة المقارنة.

---

[1] عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ص 217- 218.

[2] مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، ص 119.

[3] المرجع نفسه: ص 109.

لقد بدأت هذه الأخيرة مع مفكري وفلاسفة «**عصر النهضة أي القرن السادس عشر وما بعده خلال القرن السابع عشر**»[1] ؛ وإضافة إلى تطور وازدهار الدراسات اللغوية في «**النصف الثاني من القرن الثامن عشر أثناء ابتداع فريدريك وولف للنقد المقارن للنصوص القديمة**»[2] ؛ وهذا دليل على أن المقارنة بين اللغات لم تتم دفعة واحدة.

بيقى الاكتشاف الذي قام به وليام جونز سنة "**1786م**" والمتمثل في اكتشاف علاقة الشبه بين اللغة السنسكريتية واللغات الإغريقية واللاتينية، العامل الذي ساعد البحث اللغوي على الانتقال من المرحلة التوفيقية إلى المرحلة المقارنة وهو منعطف جديد أو توجيها مهما في تاريخ الدراسات اللغوية. [3]

بحيث وضحت هذه العلاقة في قول جونز «(...) **إن السنسكريتية لها قرابة مع الإغريقية واللاتينية، قرابة جد قوية في جذر الأفعال وفي أشكال النحو** (...) **لدرجة أن أي فيلولوجي لا يمكنه دراسة هذه اللغات الثلاث من دون أن يعتقد أنها نشأت عن أصل مشترك** (...) »[4]؛ وهذا دليل على أن الدراسة المقارنة في هذه الفترة ركزت على اللغات الهندوأوروبية للوصول إلى النسب الواحد.

وقد نشطت الدراسة المقارنة، وخطت خطوات كبيرة وناجحة إلى غاية ظهور مصطلح النحو المقارن على ساحة هذه الدراسات، والذي استعمله لأول مرة العالم "**شليجل**" (v shlegel)سنة 1808 في مؤلفه مقالة حول لغة الهنود وفلسفتهم.

وبالرغم ممّا قدمه هذا العالم وتسليطه الضوء على المرحلة الجديدة التي تضمنت العديد من الأفكار اللغوية الهامة حول العلاقة بين اللغات وبنيتها (النحوية، الصرفية، الدلالية والإعرابية)، إلاّ أنه فشل في وضع صياغة

---

(1) مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، ص 143.

(2) صادق يوسف الدّباس: دراسات في علم اللغة الحديث، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012، ص 169.

(3) محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، د س، ص 59.

(4) مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، ص 145.

مضبوطة وشاملة للقواعد العامة المتحكمة في هذه التقابلات التي تجمع بين الأصوات والصيغ النحوية في هذه اللغات المتقاربة، ومن ثمة حالات محاولاته دون اعتباره مؤسس المنهج المقارن.[1]

وتجدر الإشارة إلى أنّ "**فرانز بوب**" (**Frans Bopp**)مؤسس النحو المقارن الموسوم بـ " عن نظام التصريف في اللغة السنسكريتية مقارنة بكل اللغات اليونانية واللاتينية، الفارسية والجرمانية" وكذلك مواصلته لتعليم النحو السنسكريتي حتى سنة 1852 ببرلين، إضافة إلى ذلك تأثره بنظرية "**تشارلز داروين**"(**Charles Darwin)** والذي نشر كتاب أصل الأنواع سنة 1859م المسماة بنظرية النشوء والارتقاء، وتتبعه للظواهر اللغوية واعتبارها أحداث طبيعية مقارنة بين عدة أصناف من اللغات، وتفسيره مفهوم التطور اللغوي في ضوء هذه النظرية على أنّ اللغات تغيرت بانحلال الأصل اللغوي الكامل إلى فروع، واعتبارها كائنات حية تنمو وتتطور وتموت، وهذا ما جعل جلّ مؤرّخي اللسانيات يعتبرونه مؤسس المنهج المقارن. [2]

هذا وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهور فريق من الباحثين اللغويين في أوروبا وخاصة في ألمانيا عاملين على نقل نظريات المقارنين الأوائل أمثال "**جاكوب غريم**" (Jacob Grimm) صاحب كتاب "**النحو الألماني**" **وشليجل** صاحب كتاب "**عن اللغة والمعرفة عند الهنود**" و"**فرانز بوب**" صاحب كتاب "**نظام التصريف في اللغة السنسكريتية**" **وأوغست شليشر** مؤلف كتاب "**شجرة اللغات**". وقد أطلق على هذا الفريق اسم النحّاة الشباب معتمدين المنهج التاريخي، والذي قوامه التحليل والتتبع الدقيق لتطور مكونات اللغة الصوتية والصرفية والاشتقاقية.

إلاّ أنهم لم يأتوا بنظرية جديدة بل كانت دراساتهم عبارة عن صياغة أراء نقدية لأسلافهم المقارنين.

---

[1] مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، ص 146- 149.

[2] نعمان بوقرة: اللسانيات، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 57- 58.

لكن لا يمكن نفي ماتركو من بصمات في البحث اللغوي الحديث، إذ عملوا على شق طريق مميز عرضوا فيه قانون التناسب الصوتي بريادة كل من **"أستهوف"** و**"بروجمان"** سنة 1878 مبينين أنّ التغيرات الصوتية تحدث بوصفها عملية ميكانيكية حسب إطار زمني محدد وقوانين صارمة لا تسمح بأي شذوذ داخل نفس اللغة.[1]

لعل الأبحاث والدراسات التي قدّمها العلماء منذ القرن السابع عشر إلى أواخر القرن التاسع عشر ساهمت في ارتقاء وازدهار الدرس اللغوي ومهدت لظهور علم اللغة العام والذي يعتبر توجيها مهما في البحث اللساني.[2]

وقد شهدت الفترة الأولى من القرن العشرين مجالا معرفيا آخرا غيّر وجهة النظر تجاه اللغة، وذلك بظهور الباحث **"فاردیناند دي سوسير"** (**F.de saussure**) والذي قام بتطوير الدراسة أسلوبا ومنهجا، ووضح معالم هذا العلم، وقرأه وفق منظور علمي دقيق، كما رسم حدوده وبين مناهجه واختصاصاته، وضبط موضوعه الحقيقي، بحيث قال: «**إن موضوع اللسانيات هو دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها**»[3]؛ أي أن يدعو إلى دراسة مستويات اللغة دون إخضاعها لأي تأثير خارجي.

كما كان له الفضل في التمييز بين الدراسة التاريخية والدراسة الآنية الوصفية، مفصلا بين المنهجين مؤكدا على عدم الخلط بينهما، إضافة إلى بسطه لآراء تأسست عليها النظرية اللسانية المعاصرة.[4]

أما المنهج الذي اتخذه ميدانا خصبا لهذه الدراسة فهو المنهج الوصفي العلمي، الذي يعتمد بالدرجة الأولى على اللغة المنطوقة، وينظر للغة نظرة وصفية تقوم على الملاحظة المباشرة، والعلمية التي تستوجب الاستقراء والدقة وصفة الموضوعية، ممّا أهله سلفا ليضع حجر الأساس للسانيات البنيوية، والتي سارت على نهجه جل المدارس

---

(1) مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، ص 169 – 179.

(2) عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ص 219.

(3) المرجع نفسه: ص 221- 225.

(4) محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، ص 14.

اللسانية الحديثة والمعاصرة، حيث تأثرت به وبدراسته، فراحت تعطي الحدث اللغوي بعده الوجودي والمعرفي الذي ينبغي أن يلعبه في الدراسة اللغوية. [1]

من بين هذه المدارس: **مدرسة كوبن هاجن، المدرسة الفرنسية، المدرسة الروسية (موسكو)، المدرسة الألمانية، المدرسة الإنجليزية، المدرسة التشيكوسلوفاكية (مدرسة براغ)**، والتي تأثرت هي الأخرى بآراء "دي سوسير"، إلاّ أنها ابتعدت عنه في رؤيتها للغة واعتبرتها نظام من الوظائف وكل وظيفة نظام من العلامات واختلفت مع اللسانيات الحديثة الأخرى في منهج الدراسة. [2]

خلاصة:

من خلال هذا العرض الموجز للدراسات اللغوية عند الأعاجم نستنتج أن المحاولات الأولى كان لها ارتباط وثيق بالعامل الديني رغم اختلاف الغايات، وأنّ البحث اللغوي كان شاملا لجميع مستويات اللغة.

وقد مرّ البحث اللغوي بمراحل تمثلت في الجهود المنسوبة إلى الشعوب التي سبق ذكرها (الهنود، اليونان الرومان، السريان وآخرون) والتي تميزت دراستها بالأحكام المعيارية، والمنطق وإجراءاته، وهي مرحلة النحو التقليدي.

والمرحلة التاريخية المقارنة والتي هيمنت وبصورة واضحة على أواخر القرن الثامن عشر ميلادي والقرن التاسع عشر في أوروبا، وركزت على اكتشاف الأوروبيون للعلائق الموجودة بين اللغات القديمة (السنسكريتية، اليونانية واللاتينية)، والبحث في الصفات المشتركة بين هذه اللغات سواء ما تعلق بالجانب الصوتي أم التركيبي أم الدلالي.

واللسانيات الوصفية والتي هيمنت على القرن العشرين مع العالم "فرديناند دي سوسير"، والذي وضع حجر الأساس للإطار العام الذي ترعرعت فيه اللسانيات البنيوية في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" الذي نشر بعد وفاته.

---

[1] حنيفي بن ناصر، مختار لزعر: اللسانيات منطقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2011، ص 44- 49.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2004، ص 136.

الفصل الأول: مناهج البحث اللغوي

1/ مفهوم المنهج.

أ- لغة.

ب- اصطلاحا

2/ مفهوم البحث

أ- لغة.

ب- اصطلاحا

3/ أنواع المناهج اللغوية.

أ- المنهج الوصفي.

ب- المنهج التاريخي.

ج- المنهج المعياري.

د- المنهج المقارن.

شهدت الدراسات اللغوية نقلة معرفية كبيرة، تقوم في أساسها على البحث ومعرفة الظواهر اللغوية، متقصّية حقيقتها مما دفع الفكر الإنساني للبحث عن أفضل الأساليب والطرائق التي تمكنه من معرفة الحقيقة والوصول إلى النتائج المرجوّة، وذلك لا بد له أن يكون بالاعتماد على **"مناهج البحث"**.

إذ كان لهذه الأخيرة دور كبير في معرفة الأسس والمبادئ التي قامت عليها مختلف الدراسات اللغوية.

فكان الاهتمام بما اصطلح عليه "**مناهج البحث اللغوي**" من الآليات التي هيمنت على الدراسات اللغوية العربية والغربية، ومن الخطط التي انتهجها العديد من الباحثين كل بحسب هدفه، ويتجلّى ذلك بوضوح فيما قدّمته لنا العديد من المدارس التي اعتمدت على مناهج البحث في دراستها اللغوية.

ومن هنا لا بدّ لنا من الإشارة إلى مفهوم المنهج والبحث لغة واصطلاحا وصولا منّا إلى أهم أنواع المناهج المعتمدة في الدراسات اللغوية.

1/ مفهوم المنهج:

أ–لغة:

ورد في شتى المعاجم الخاصة باللغة العربية أنّ مادة "**نهج**" لا تخرج عن معنى: الطريق البين الواضح، فقد جاء في لسان العرب وبالضبط في مادة "**نهج**": نهج طريقٌ نَهْجٌ، بيِّنٌ واضِحٌ، وطرقٌ نَهْجَةٌ، وسبيلٌ منهجٌ: تنهَجَ ومَنهجُ الطريق: وضحُهُ، والمِنْهاجُ كالمنهجِ، وفي التنزيل «لكلّ جعلنا منكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجًا»، وأنهج الطريق وَضَحَ واستبَانَ وصَارَ نهجًا واضحًا بيِّنًا، والمنهاج الطريق الواضحُ [1]، وفي معجم المعاني وردت نفس المعاني في مادة "نهجَ": طريق نهجٌ، وَسِعٌ، واضِحٌ، ومنهجُ الطريق واضِحُهُ والمنهاج الطريق الواضِحُ[2].

وقد وجدت هذه المعاني أيضا في المعاجم الأجنبية، فمصطلح المنهج في اللغة اليونانية (Methedos)، وفي اللغة اللاتينية (Methodud) وفي اللغة الانجليزية (Meythod) وفي اللغة الفرنسية (Methode)، وهذه المصطلحات على اختلافها وبشكل عام تفي: الطريق أي السبيل أو التقنية المستخدمة لعمل شيء محدّد، وهو العملية الإجرائية المتبعة للحصول على شيء[3]؛ وهذا ما يوافق المفهوم الاصطلاحي للمنهج.

هذه المادة اللغوية لهذا الفعل –نَهَجَ– لا تخرج عن معنى الطريق الواضح البين، والذي يتبعه معظم الباحثين للوصول إلى معرفة ما وبوسائل مختلفة، وهذا ما ذهب إليه عبد اللطيف العبد في تعريفه اللغوي للمنهج «**بأنّه طريق يسلكه العقل وفق قواعد عامة ترشده وتقوده إلى الحقيقة، وأنّ المنهج العلمي الحديث هو حصيلة التأمّل الدقيق الذي يحدّد القواعد ويميّز الصحيح من الفاسد ويخلص إلى قوانين**»[4]، وردت كل هذه

---

[1] ابن منظور جمال الدين أبي الفضل مكرم ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، د س، مادة نهج، ص 168.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، مكتبة لبنان، دب، ط1، 2004، 392/3.

[3] نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 284.

[4] محمد علي عبد الكريم الرديني، شلتاغ عبود: منهج البحث الأدبي واللغوي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، د ب، د ط، 2010، ص 153.

المعاني متداخلة مع بعضها البعض، وهي مجمل ما يوحي إليها معنى المنهج في دلالته اللغوية، وهذا ما ذهب إليه صاحب معجم الوسيط المنهاجُ: الطريقُ الواضح، والخُطّة المرسومة (محدثة)، ومنه منهاجُ الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما، ج مناهج، وأمرٌ، نهج، معناه الطريق المستقيم الواضح.[1]

إضافة منا إلى كلّ ما ذكر المنهجُ «**هو الطريقة التي تحتوي على مجموعة القواعد العلمية الموصلة إلى هدف البحث**».[2]

يتبين لنا من خلال ما تقدم: أنّ المنهج هو الخطة المنظمة تنظيما عقليًا، أو أنه طريق واضحُ المعالم لما يوجه الباحث إلى الهدف المرجوّ باستخدام مختلف الوسائل والأساليب، وإن اختلفت العلوم يبقى مفهوم المنهج نفسه لا يتغير بتغييرها وهذا يوضح خصوصية كلّ منهج، فالمنهج يتبع الموضوع.

هذا من الناحية اللغويّة، أما من الناحية الاصطلاحية فقد يختلف مفهومه بعض الشيء إلاّ أنّ وظيفته لا تتغيّر.

ب–اصطلاحا:

أما اصطلاحًا، فقد أصبح للمنهج ارتباط بمجال الدراسة التي يقوم بها الباحث (لغوية، أدبية، اجتماعية) باعتبار أنّ لكل اختصاص قواعد مُعيّنة، إذ تحدّث عنه معظم الباحثين – المنهج– بوصفه خطوة من خطوات البحث يصل بها الباحث إلى الحقيقة بتقنياته، إذ أصبح المنهج يدرس ويعرف ويبحث، فالمنهج – في أبسط تعريفاته وأشملها «**هو طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة**»[3]؛ هذا الطريق يستند إلى استعمال الأساليب العلمية لذلك قيل «**أنّه استعمال للمعلومات استعمالا صحيحًا في أسلوبٍ علميّ سليم، يتمثل في أسلوب**

---

(1) إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزيات وآخرون: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، د ط، د س، ج1، ص 957.

(2) رشيد زرواتي: منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية "أسس علمية وتدريبية"، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د ط، 2004، ص 104.

(3) فيصل مفتاح حداد: منهجية البحوث والرسائل العلميّة "دراسة منهجية"، ليبيا، ط1، 2008، ص 9.

العرض والمناقشة الهادئة والتزام الموضوعية التّامة، وتأييد القضايا المعروضة بالأمثلة والشواهد المقنعة من دون إجحاف أو تغيير»[1]، ومن ناحية أخرى ارتبط مفهومه بـ «**جمع المعلومات ثم تصنيفها وترتيبها وقياسها وتحليلها...**» [2] ؛ يقوم المنهج على أسس ومبادئ تطبيقية تؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة.

قد كانت لعبد الرحمان بدري نفس النظرة، وإن اختلف التعبير عما ذكر سابقا (التصنيف، الترتيب القياس، التحليل...) وهي تعتبر إجراءات لتطبيقات مختلفة، أو قواعد عامّة عبّر عنها «**بالطريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة والعلوم بواسطة طائفة من القواعد التي تُهيمنُ على سير العقل وعملياته حتى تصل إلى نتيجة**» [3]؛ رهذه المفاهيم، وإن اختلفت بعض الشيء فإنّها تتوافق والمفهوم اللغوي الذي كان يشير إلى طريق البحث عن المعرفة والاستقصاء، وأنّ هناك اختلافات أسلوبية بين المنهج وأنواعه.

ومن كل ما تقدّم وجدت بعض المعطيات التي تدلّ على هذا المدلول – المنهج– ويؤكّد على دلالته مصطلح منهجية (Methodologie) إلى أصل يوناني تحت اصطلاح (logos) وهو علم يدرس طريقة البحث، إذ يقال منهجية البحث أي الإجراءات أو التقنيات والطرائق المستعملة في بحث ما، فالمنهج (Méthode) له أصل يوناني يعرّف بـ (odos) الذي يعني: الطريقة التي تحتوي على مجموعة القواعد العلمية الموصلة إلى هدف البحث فالمنهج هو الطريقة المتبعة في شتّى المعارف يتميّز باستعماله لقواعد عقلية تعتمد على المنطق وتوجه الباحث في بحثه. [4]

يتبين لنا من خلال ما تقدّم: أنّ المنهج له أهمية في كلّ الدراسات باختلاف مواضيعها، فهو أساس البحث من بدايته إلى نهايته فهو غير محدّد للنتائج والأهداف، ومفسّر للأسباب، ما يعني أنّ المنهج خطّة منظمة تنظيما

---

[1] محمد علي عبد الكريم الردني، شلتاغ عبود: منهج البحث الأدبي واللغوي، ص 150- 151.

[2] رشيد زرواتي: منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية "أسس علمية وتدريبية" ، ص 104.

[3] الفضلي عبد الهادي: أصول البحث، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، إيران، د ط، دب، دس، ص 51.

[4] رشيد زرواتي: منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية "أسس وتدريبات"، ص 104.

عقليا، إذ تُستخدم فيه مختلف العمليات المنطقية (تحليل وتفسير...)، ومن ذلك نجد أنّ هذه المفاهيم على اختلافها لا تبتعد عما جاءت به المعاجم اللّغوية.

امتدت جذور المنهج حتى العصر الحديث، فهذا "**دافيد كريستل**" (David Kristell) يرى بأنّ هناك «اختلافات متعدّدة وحاسمة بين المنهج الحديث، والدراسة القديمة وحجر الزاوية في هذا الخلاف تلخّصه كلمة العلمية (Scietifiess) والجانب الهام في علم اللغة هو استعمال الأساليب العلمية التي يعتمد عليها الموضوع، أي المنهج العلمي والذي يتمثل في الفروض، كما تهتم أيضا لوضع أصول نظرية علمية، ومصطلح علمي ثابت وواضح»[1]؛ يعتبر كريسل أن المنهج هو أساليب علمية يعتمد عليها الباحث في موضوعه، وهذه الأساليب هي الفرضيات التي تنطلق منها هذه الفرضيات من مبادئ المنهج العلمي، هذا الأخير هو الذي يحدد المنهج.

ومن البديهي أن تكون هناك بعض الاختلافات في مفهوم المنهج قديما وحديثا، فقد وجد قديما بعض المصطلحات تعبر عن المنهج في دلالتها العامة «**قد وظّف المنهج على أنّه التيار أو المذهب أو المدرسة ولا ضرر في ذلك، ما دام الهدف من ذلك كلّه هو الكشف عن الطريقة أو الأسلوب لتيار معين أو مذهب معين أو مدرسة معينة**»[2] ؛ بالرّغم من وجود هذه الاختلافات إلاّ أنّ لها نفس الدلالات.

فالمقصود إذن بمنهاج البحث على اختلافها «**الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل التي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض وهو يقدم لك أن العلوم تتفق جميعها في اتجاهاتها الأساسية وفي وجهة نظرها إلى الظواهر التي تعالجها وفي الأغراض العامة التي ترمي إليها من وراء البحث، ولذلك كان يطلقون على هذه الطرق اسم "الطرق العامة" أو مناهج البحث المشتركة**»[3]، إضافة إلى هذا يوجد

---

[1] البدراوي محمد عبد العزيز: مقدمة في علوم اللغة، دار المعارف، مصر، ط2، 1986، ص 175.

[2] محمد عبد الكريم الرديني، شلتاغ عبود: منهج البحث الأدبي واللغوي، ص 184.

[3] علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط9، 2004، ص 34.

الرأي نفسه عند عبد اللطيف العبد، إذ عرفه بأنّه «**طريق يسلكه العقل وفق قواعد عامة ترشده ونفوذه إلى الحقيقة...ويميز الصحيح من الفاسد ويخلص إلى قوانين**».[1]

ومن خلال ما جئنا به نستنتج: بأنّ المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمصطلح "المنهج" لا يخرج أو لا يبتعد عن كونه الطريق المتبع في البحث، الوسائل المستعملة للكشف عن الحقيقة، القواعد والإجراءات...، وقد تختلف من مجال لآخر حسب طبيعة الظاهرة المعروضة للدراسة إلاّ أنّه في الأخير يبقى القاسم المشترك الذي تقوم عليه الدراسات والأبحاث اللغوية، هذا لأنّ:

أ/ المنهج هو الطريق المؤدّي للكشف عن الحقيقة.

ب/ المنهج هو مجموعة القواعد المنظمة، التي ينطلق منها الباحث، والتي تنطلق من الملاحظة الدقيقة وكذا الفرضيات، ووصولا إلى النتائج.

ج/ المنهج هو الوسائل المستعملة للتأكّد من صحة الظاهرة اللغوية أو فسادها بإتباع التقصّي المنظّم.

[1] محمد عبد الكريم الرديني، شلتاغ عبود: منهج الأدبي واللغوي، ص 153.

قبل الخوض في الحديث عن البحث اللغوي، والذي اعتبرناه موضوع دراستنا من بين الأبحاث الأخرى (العلمي، الأدبي...) ارتأينا إلى ضبط دلالة مصطلح البحث في صورته العامة.

2-مفهوم البحث:

أ-لغة:

لا شكّ أنّ مصطلح البحث عرفه العديد من علماء اللغة والمعاجم، لكونه لا يتضمن تعريفا محددا ودلالة واحدة.

ففي التراث العربي نجد مفهومه عند **الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت170)**.

بَحَثَ: البَحْثُ: طَلَبَكَ شَيْئًا في التُّرابِ، وسُؤَالُكَ مُسْتخْبِرًا تَقُولُ: أَسْتَبْحثُ عنْهُ وأبْحَثُ، وهُوَ يَبْحَثُ، بحثًا، والبَحُوثُ مِنَ الإِبِلِ الّتي إذا سَارَتْ بَحُثَتْ التُّرابُ بأَيْدِيهَا أُخَرًا، تَرْمي بِهِ إِلَى خَلْفِهَا. [1]

وجَاءَ في لسان العرب **لابن منظور (ت سنة 711هـ)** بمعنى:

الْبَحْثُ طَلَبُكَ الشَّيْءُ في التُّرَابِ: بَحَثَهُ، يَبْحَثُهُ، بَحْثًا، وابْتَحَثْتُهُ، والبَحْثُ أنْ تَسْأَلَ عنِ الشَّيْء وتسْتَخْبِرُ.

وبَحَثَ عَن؟ الْخَبَرِ وبَحَثَهُ يَبْحَثُهُ بَحْثًا، سَأَلَ وكَذَلِكَ اسْتَبْحَثَ عَنْهُ.

- اَلْبَحْثُ: الْحَيّةُ الْعَظِيمَةُ لأنّهَا تبحث عنِ التُّرابِ.
- الْبَحْثُ الْمَعْدِنُ: يَبْحَثُ فيه عنِ الفِضّةِ والذّهَبِ. [2]

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تحق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، د س، ج1، ص 115.

[2] ابن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد ابن مكرم الأنصاري: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد جبور، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005، ص 838.

إذا كانت دلالة البحث في معجم العين للخليل تنحصر في: الطلب والسؤال والاستخبار، يتفق معه في بعض الدلالات.

وجاءت دلالته في معجم الوسيط كالتالي:

(بَحَثَ) لأَوْصَافِهَا بَحْثًا، حَفَرَهَا وطَلَبَ الشَّيْءَ منها، وفي التّنزيل العزيز: «فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ» سورة المائدة الآية 31.

طلبه في التراب ونحوه، وفتَّشَ عنه، و–الأمر وفيه اجتهد فيه، وتعرّف حقيقته.

وعنه: سأَلَ واستقصى، فهو باحث.

وبَحّاث، وبحّاثة، في المثل: «كبحاثة عن حتفها بظلفها»

يضرب في طلب الشيء يؤدي بصاحبه إلى التلف.

(بَاحَثَهُ) في الشّيء: (بحث معه فيه (مج).

(ابْتَحَثَهُ)، عنه: بحث عنه.

(تباحثًا): تبادلا البحث.

(تبَحَّثَهُ) وعنه: بحث عنه.

(البحاثة): التراب الذي يُبحث فيه عن الشيء.

(البحثُ): بَذَلَ الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل التي تتصل به، وثَمَرَةُ هذا الجهد ونتيجته، والمِنَجَمُ يَبْحَثُ فيه عن المعادن، و– الحية العظيمة (ج بُحُوثٌ).

البحوث اسم سورة براءة. [1]

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، ط2، د س، ج1، ص 40.

كما عرّفه آخرون: البحث هو الطلب والتفتيش والتّحرّي والتتبع، قال تعالى: «فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ» (سورة المائدة، الآية 81).

أي يطلب ويتبع ما يريد، وبَحَثَهُ يَبْحَثُهُ بَحْثًا، وابْتَحَثَهُ، والْبَحْثُ: أن تسأل عن شيء وتستخبر، وبَحَثَ عن الخبر وبَحَثَهُ بَحْثًا: سَأَلَ، والبحوث جمع بحث[1]، وهكذا يتضح أنّ دلالة مصطلح البحث تتسع لتشمل: الطلب، التفتيش والتعرف والسؤال والتقصي والتتبع والتحري.

ب–اصطلاحا:

يجمع أغلب الباحثين والعلماء على أن المفهوم الاصطلاحي للبحث:

تقول: «**نورية ملحس**»: «**إنّ البحث محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتنقيتها وفحصها وتحقيقها بتقصي دقيق ونقد عميق، ثمّ عرضها عرضا مكتملا بذكاء وإدراك لتسير في ركب الحضارة العالمية وتسهم فيه إسهاما إنسانيا شاملا**»[2].

وعرفه **أحمد بدر** بأنه: «**يعني استقصاء المنظمة يهدف إلى إضافة معارف، يمكن توصيلها والتحقق من صحتها عن طريق الاختيار العلمي**».[3]

وهناك من يطلق عليه بأنه: «**إن البحث هو طلب الحقيقة وإذاعتها بين الناس سواء اتفقت مع ميول الباحث أم لم تتفق**».[4]

---

[1] محمد علي عبد الكريم الرديني، شلتاغ عبود: منهج البحث الأدبي واللغوي، ص 151.

[2] صالح لحلولي: محاضرات في منهجية البحث العلمي في اللغة والأدب العربي، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2016، ص 28.

[3] المرجع نفسه: ص 28.

[4] فيصل مفتاح الحداد: منهجية البحوث والرسائل العلمية "دراسة منهجية"، ص 17.

كما عرفه العبد: «**معنى البحث هو التفحص والتفتيش، وهو إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين الشيئين بطرق الاستدلال**»[1]

ومن هنا نلاحظ أنّ مفهوم البحث في الاصطلاح له عدّة دلالات منها: الاكتشاف، والتنقيب، والتفحص، والتقصي، والتعرف، والتفتيش، والطلب، وهي تتفق مع معناه في اللغة في بعض الدلالات.

[1] محمد علي عبد الكريم الرديني، شلتاغ عبود: منهج البحث الأدبي اللغوي، ص 151.

3- أنواع المناهج اللغوية:

إنّ التأصيل لمناهج البحث اللغوي قديم من حيث الانطلاقة التاريخية - خاصّة وأنّ هذا المنهج -؛ يهدف إلى وضع قواعد وقوانين لدراسة اللغة، ووضع قواعد تضبطها على مرّ الزّمن: فقد اعتمدت دراسة مستويات اللغة (النّحويّة والصرفية والدلالية والمعجمية) على عدّة مناهج اختلفت باختلاف الباحثين فيها، وكذا الهدف الذي يرمي إليه كلّ منهجٍ باختلاف قواعد التظير فيها على مرّ الزمن.

كثر الجدال حول هذه المناهج واختلفت الآراء، فهناك من يرى أن المناهج الحديثة نقاط تتشابه مع المنهج القدم مشيرين إلى العرب وطريقتهم في الدراسات اللغويّة، وهذا ما أشارت إليه الدراسات الحديثة في ضوء المناهج القديمة.

وقد أمعنوا النّظر فيها محاولين إجراء مقاربة بين حداثة هذه المناهج وأصالة المناهج القديمة، إذ أصبح حديثنا اليوم عن اللغة؛ هو حديث عن منهجها المتبع في الدراسة، وهذا ما فرض علينا الإشارة إلى أهم هذه المناهج - الحديثة- محاولين ربطها بالمناهج القديمة في الدراسات اللغويّة.

أ- المنهج الوصفي:

لقد كانت لهذا المنهج تجلّيات واضحة مع"**دو سوسير**" في كتابه "**مدخل إلى علم اللغة**" إذ فرّق بين (Synchronish) تزامني وبين (Synchrouistish)وصفي[1]، ومن هناك ظهر علم اللغة الوصفي (Descriptive linguistics)[2] ، وارتبط مفهوم هذا العلم اللغوي بمفهوم المنهج الوصفي باعتبار أنه يقوم «**بوصف أية لغة من**

[1] جرهارد هلبش: تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة سعيد بخيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2003، ص 81.

[2] محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د س، ص19.

اللغات عند شعب من الشعوب، أو لهجة من اللهجات في وقت معين، أي أنّه يبحث اللغة بحثا عرضيًّا لا طوليًّا ويصف ما فيها من ظواهر لغوية مختلفة، ويسجّل الواقع اللغوي تسجيلًا أمينًا».[1]

فإجراءات هذا المنهج تتوافق مع ما جاء به القدماء في منهجهم، من خلال منهج "السماع"، نقل اللغة الموجودة في الواقع رواية كما هي دون تصحيح أو زيادة فيها، وبالتالي هذا المنهج يقابل منهج السماع، وقد يكون من أسُسه الوصف والتحليل، إذ يُعنى بدراسة الظاهرة اللّغوية لك بوصفها في لغة معيّنة وزمن محدّد...يهتم المنهج الوصفي بوصف اللغة أو اللّهجة من خلال مستوياتها المختلفة الأصوات، الصرف، النحو، الدلالة» [2]، هذا المنهج يحدّد اللغة التي يدرسها وكذلك الزمن الذّي توجد فيه، فهو ينطلق من الواقع اللّغوي ووصفه وصفا دقيقا ونستطيع القول لأن هذا المنهج – الوصفي – مرتبط بالمنهج التاريخي.

فقد تكون لهذا المنهج خلفيات كأساس في الدراسات اللسانية الحديثة، إذ ظهرت بوادره في أوروبا مع "دي سوسير"، هذا الأخير كان له دور في إبراز مبادئه في الدرس اللغوي، يقوم بوصفه اللغة "كنظام قائم بذاته" [3]، هذا وقد ذهب أنطوني مييه (A.Meillet) إلى أبد تصوّر من تصوّر دي سوسير.

وإن كانت اللغة هي اللّبنة الأولى والأخيرة للمنهج الوصفي، إذ يرى بأنّه: «**يعنى بدراسة الاستعمال اللّغوي في عمومه، عند شخص بعينه في زمان بعينه ومكان بعينه**» [4]، ونصل بهذا إلى معرفة القواعد والقوانين العامة لهذا المنهج، ولهذا وصف هذا المنهج بأنّه علم ساكنٌ (static)[5]، معنى أنه يصف اللغة كما هي، وفق ما جاءت به فهو يحلّلها كما هي ليصل من خلالها إلى وضع قاعدة تنظرتها، فيكون البدء بالاستقراء وتسجيل الظواهر من أهم الأسس التي يعتمد عليها الوصف بخلاف، وتاريخ النحو العربي يدل على اتخاذ منهج الوصف في

---

(1) رمضان عبد التواب: مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997، ص 181.

(2) نور الهدى لوشنى: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 295.

(3) علي زوين: منهج البحث اللغوي "بين التراث وعلم اللغة الحديث"، دار الشؤون الثقافية العامة، دب، ط1، ص 10.

(4) رمضان عبد التواب: مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 182.

(5) ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد عمر مختار، عالم ا لكتب، ط9، 1998، ص 137.

تحليل الظواهر اللغوية بدءًا بالاستقراء كما هو ملاحظ بصورة جلية في كتاب سيبويه»[1]، إذًا هذا معتمد في الدراسات العربية القديمة، والدليل على ذلك إجراء الاستقراء باعتباره من قواعد منهج "السماع" عند العرب، هو السماع يقوم على الاستقراء والتصنيف ووضع القواعد وضبطها[2] فبعد ملاحظة الظواهر اللغوية يقوم الباحث بمجموعة من الإجراءات قبل التنفيذ لها، كما أيّ دراسة لمستويات اللّغة هي دراسة وصفية.

ومن الأسس التي يقوم عليها المنهج الوصفي:

- التجريد بمعزل وانتقاء مظاهر معينة من الظاهرة اللغوية.
- التعميم وهو الحكم ويكون شاملا، ليعتمد على الملاحظة المباشرة للظواهر اللّغوية...وصف نظامها الصوتي والصرفي والنحوي.
- اعتماد زمان معين في تحديد الفترة التي يدرس فيها الظاهرة اللغوية.
- تحديد المكان الذي تدرس فيه اللغة.[3]
- اعتماد الموضوعية للتحقق من الافتراضات اللّغوية، لذلك يبني المنهج الوصفي، هذه الافتراضات إلا بعض إخضاعها للتجربة.[4]

-خطواته:

من خطوات المنهج الوصفي نجد:

---

[1] علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 11.

[2] رشيد حليم: المنهج اللغوي العربي والبحث اللساني، "دراسة مقاربتيه في اللسانيات وأصول النحو"، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص 13.

[3] صالح بلعيد: في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث، درا هومة، الجزائر، دط، 2005، ص 56.

[4] صادق يوسف الدباس: دراسات في علم اللغة الحديث، ص 150.

–الاستقراء: يقيم الواصف دراسته على معطيات لغويّة مستعملة فعلا، وهو يقف على الكيفية التي تنفد بها اللغة على ألسنة المتكلمين إذ يعتمد على الراوي أو المتكلم الأصلي، وهذا ما وجد عند القدماء فمثلا: العرب لم تقبل أي لغة أثناء النشاط اللغوي الذي قامت به إلى لغة القبيلة التي تنتمي إلى القبائل التي يحتج بكلامها المروي.

–التصنيف: هي الخطوة التالية بعد الاستقراء، ويعني تقسيم المادة وجمعها في الشكل أو في الوظيفة، وجعلها قسما بذاته ثم تسمية باسم ويكون التصنيف بعد استقراء المادة اللغوية على أساس الملاحظة.

–التقعيد: هو الخطوة الأخيرة في المنهج الوصفي بعد الاستقراء، والتصنيف ليصيغ في الأخير القواعد. [1] للمنهج الوصفي خطوات جعلت له نقاط تشابه مع منهج العرب في البحث اللغوي خاصة وأنها نفس الخطوات ولابدّ لهذا المنهج أن يتكامل مع المنهج التاريخي، فبدوره تكمن في الدراسة الزمنية.

ب– المنهج التاريخي:

ويعرف أيضا بالمنهج (الزماني)، وأيضا بعلم اللغة التاريخي (Histarical linguistics)[2]، وقد تعددت مفاهيم وشروحات المنهج التاريخي ولكنها اتفقت من حيث أنّه « **المنهج الذي يبحث في قضيّة لغوية معينة في جوانبها المختلفة من حيث تطورها، وتغيّرها عبر القرون المتعاقبة**» [3]، يُعنى المنهج التاريخي بدراسة الظاهرة اللغوية في تحولاتها المختلفة على جميع مستوياتها وكذا «**مظاهر هذا التطور وأسبابه ونتائجه...كما أنّ التّغير يحدث في كل الاتجاهات النماذج الصوتية والتراكيب الصرفية والنحوية والمفردات**»[4].

---

[1] صالح بلعيد: في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث، ص 56.

[2] محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، ص 19.

[3] صادق يوسف الدباس: دراسات في علم اللغة الحديث، ص 150.

[4] علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 38.

ومن الأمثلة التي وصفها علماء اللغة دليلا على التغيرات التي تطرأ على اللغة «**اختيار مجموعة من الألفاظ ودراسة دلالتها في الشّعر الجاهلي ثم معانيها في العصور الإسلامية إلى عصرنا الحاضر**»[1]، فلا بد على أي باحث لغوي من تتبع الظاهرة اللغوية تتبعا تاريخيا، في أي لغة كانت ومعرفة التحولات التي طرأت عليها، و«**لا يقتصر هذا البحث على تغير البنية اللغوية...بل يتناول بالضرورة مستويات الاستخدام اللغوي في البيئات المختلفة، وتغير ذلك عبر الزمن، كما يتناول الانتشار اللغوي ودخول اللغة إلى مناطق جديدة وينحث أيضا في الانحسار اللغوي**»[2]، ومن أمثلة ذلك «**تطوّر اللاتينية إلى اللغات الرومانية، والأنجلو سكسونية إلى الانجليزية الحديثة أو تطور اللغة العربية الفصحى إلى اللهجات العامية المختلفة**»[3].

بهذا يكون المنهج التاريخي وسيلة مساعدة للباحث اللغوي في معرفة اللغات القديمة في أقدم عصورها عن طريق المخطوطات والرسومات الحجرية، وغيرها من الأدوات المساعدة «**فالمنهج التاريخي في الدرس اللغوي....عبارة عن بحث التطور اللغوي في لغة ما عبر القرون، فدراسة أصوات العربية الفصحى تاريخية يبدأ من وصف القدماء لها من أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه وتتبع تاريخها منذ ذلك الزمان حتى العصر الحاضر**»[4]، ينطلق من فرضية سابقة أو اعتقاد شائع في كون اللغة ظاهرة مستمرة التطور والتغير في جميع مستوياتها (الصرفية والنحوية والدلالية)، لا تعرف الثبات في دلالة مفرداتها اللغوية، وهذه الدراسة ترتبط بزمان ومكان محدّد، وبالرّغم من ذلك التطور والتحول، إلاّ أنّه يبقى ذا ارتباط وثيق بتحليلها ورصد أهم تغيراتها، وبهذا يوصف هذا المنهج بالفاعلية والاستمرار (dynamic)[5].

---

[1] صادق يوسف الدباس: دراسات في علم اللغة الحديث، ص 150.

[2] نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 288.

[3] المرجع نفسه: ص 288.

[4] رمضان عبد التواب: مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 197.

[5] ماريو باي: أسس علم اللغة، ص 137.

وقد عرف هذا المنهج عند المحدثين «**لمصطلح علم اللغة التاريخي (diacbrori clibgaistics)، مكون من (dia) بمعنى عبر، و(chromic) بمعنى زمن**».[1]

إذا تتبعنا الدراسات التي انتهجت المنهج التاريخي في بحثها اللغوي، فسنتعرف من خلالها على أهدافه المختلفة عن بقية المناهج الأخرى، إضافة إلى ذلك معرفتنا بأهم مميزاته، ومنها:

- يتناول المنهج التاريخي في دراسة حالات التطور الظواهر اللغوية عبر مراحلها الزمنية، ويشمل ذلك تحوّل اللهجة الواحدة إلى لغة عامة بين أبناء المباعة اللغوية.
- يتناول المنهج التاريخي دراسة عوامل الانحسار اللغوي عن الأقاليم الجغرافية للغة من اللغات.
- يدرس المنهج التاريخي تحولات اللغة في جوانبها البنائية وتوزيعها على شكل لهجات، ويشمل ذلك تحول اللهجة الواحدة إلى لغة عامة بين أبناء المباعة اللغوية.
- يبحث المنهج التاريخي في الصيغ والأبواب النحوية والجوانب الدلالية التي تخص تاريخ لغة من اللغات.
- يعتمد على المخطوطات والنقوش والحجار.
- يعتمد على اللغة المكتوبة لأنه يعتقد بأنّ اللغة المنطوقة لا تمثل إلاّ شيئا مخادعا...والذي سيعيق الدرس والتحليل وصولا إلى الحقائق العلمية هو اللغة المكتوبة.[2]

يتضح لنا أن المنهج التاريخي يدرس اللغة من ناحية حركتها المستمرة في مستويات الدرس اللغوي المختلفة، نتيجة ما يهدف إليه «**علم اللغة بمنهجه الفاعلي المستمر هو الكشف عن الاتجاهات المختلفة للتغير اللغوي وأنظمتها من خلال الوصول إلى العوامل التاريخية التي ساعدت على التغير**».[3]

---

[1] نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 287.

[2] عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ص 130.

[3] علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 30.

ويعتمد المنهج التاريخي على أسس قد توافق في تطبيقاتها المنهج الوصفي، فمثلا: يقوم على الاستقراء وذلك لاستخلاص القواعد بعد ملاحظتها، ثم التصنيف من خلال تقسيمها لوضع القواعد، «**وقد برهنت الدراسات أن المنهج الآني (الوصفي)، والمنهج التاريخي (الزماني) متكاملان وكلّ منهما في خدمة اللغة**»[1].

ج –المنهج المعياري:

هو المنهج الذي «**ساد الدراسات اللغوية القديمة خاصة في اللغة العربية منذ نشأته في اليونان، على أيام أرسطو حتى أواخر القرن الماضي، كانت بداية الدراسة عند نحّاتنا العرب القدامى محاولة جدية لإنشاء منهج وصفي (...) لكن سرعان ما تحول إلى منهج معياري**»[2]؛ وهذا دليل واضح على أنّ الدراسات اللغوية العربية كانت بدايتها وصفية ثم انتهت إلى المعيارية.

يقصد بالمنهج المعياري «**اتخاذ معايير وضوابط ثابتة لا يجوز الخروج عنها، فما يوافقها يعد صحيحا وما يخالفها يعد خطأ...**» [3]؛ أنه يعتمد القاعدة أساسا له، والخروج عنها الدخول في دائرة الخطأ.

وعليه فالمنهج المعياري «**يعني بتوجيه عناية الناس إلى ما يجب إتباعه في قواعد اللغة، وبالحكم الخطأ على كل مخالفة ما يلغي إليهم من قواعد وقوانين، وهو منهج تعليمي في أساسه، إذ هو يؤخذ وسيلة من وسائل تعليم اللغة وقواعدها للأجيال المختلفة**».[4]

---

[1] نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوية، ص 311.

[2] صادق يوسف الدباس: دراسات في علم اللغة الحديث، ص 153.

[3] إبراهيم محمد إبراهيم محمد عثمان: مناهج البحث اللغوي ومدارسه، جامعة باجي مختار، عنابة، دط، دس، ص 4.

[4] عبد الله أحمد جاد الكريم: الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2004، ص 223.

وهكذا يتضح أنّ هذا المنهج هو منهج المعلم لكونه يفرض مراعاة القواعد والمعايير على المتكلمين وليس منهج المتعلم. وتجدر الإشارة إلى أنّه استعمل في الدراسات اللغوية الأوروبية واستخدم له عبارة «**اللغة المعيارية، أو عبارة المعياري حينما توصف اللغة أو النحو أو القواعد العامة**».[1]

وفي هذا يرى **دي سوسير** أن «**الدراسة المعيارية مؤسسة على المنطق خالية من وجهة نظر علمية، وهي لا تهتم باللغة نفسها بل ترى فقط أن تسن القواعد التي تفرق بين الاستعمالات الصحيحة وغير الصحيحة، وهو بعيد عن الملاحظة الخالصة الفرض وجهة نظره فرضا**»[2]، ويتضح من خلال هذا القول أنّ من مميزات المعيارية الخلو من النظرة العلمية واعتماد قواعد تحكم الاستعمال اللغوي والابتعاد عن الملاحظة.

وتوجد بعض مظاهر المنهج المعياري في الدراسات اللغوية القديمة، بحيث كانت مرتبطة بأصول اعتمدها النحاة واللغويون في توجيه أفكارهم وجدلهم وتتلخص فيما يلي:

- الأخذ من بعض القبائل واللهجات، وترك قبائل ولهجات أخرى، وخاصة ما يتعلق بالمفردات والتصريف والتركيب، وأكثر القبائل الذين أخذوا عنهم: قيس وتميهم، وأسد، تليهم: هديل وبعض كنانة، وبعض الطائين.
- إدخال بعض المناهج التي عرفت التقسيم والتحديد عن البحث اللغوي منها منهج علوم الحديث في بعض اصطلاحاتهم كالضعيف والمنكر والمتروك.
- تقسيم الكلام من حيث الاستعمال إلى مطرد وشاد.
- التقدير والافتراض ويعني بهما تقدير جمل وافتراضها على أساس توجيه الكلمات المتضمنة فيها توجيها إعرابيا تفقد بموجبه الجملة أو الجمل تكافؤها الدلالي فتخرج من حيزها المعقول إلى الحيز غير المعقول.[3]

---

[1] علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 46.

[2] عبد الله أحمد جاد الكريم: الدرس النحوي في القرن العشرين، ص 224.

[3] علي زوين: منهج البحث اللغوي وعلم اللغة الحديث، ص 31.

وهذا دليل على وجود سمة المعيارية في الدراسات اللغوية القديمة لكن مرتبطة بأصول الدراسة المعتمدة عند النحاة واللغويين.

أما الأسس والركائز التي اعتمد عليها المنهج المعياري فتتمثل:

- اعتماد القاعدة وفرضها على اللغة، بعد استقرائهم واستنباطهم لها.
- افتتانهم بالمنطق الأرسطي، واعتباره سمة الثقافة، إضافة إلى ذلك تطبيقه على جلّ علومهم خاصة علم النحو.
- اللغة عندهم ظاهرة غير متطورة تعرف بالثبات، ومن ثمة فهم ينكرون أي تغيير في اللغة، لكونه يمثل في رأيهم فسادًا لها.
- يصدر المعياريون أحكاما تقييمية للغة، وتمثل هذه الأحكام المثل الأعلى والنموذج الذي يجب الالتزام به لكونه يمثل الصواب اللغوي الذي يجب فرضه على المتكلمين.
- كان مجال التطبيق عند المعياريين في معاقل التعليم والتدريس، ومن ثمة كانت أهدافهم تعليمية تربوية.
- اعتمد المعياريون النماذج العليا في الأدب كمجال للتطبيق، سواء أكان شعرا أو نثرا بهدف القراءة الصحيحة وكذلك الكتابة والأغراض التعليمية، فالمعياريون مجالهم التعليم وهدفهم تحقيق أغراضه. [1]

وبالرغم ممّا يحويه هذا المنهج من نتائج إيجابية، إلاّ أنّه انتقد من طرف بعض اللغويين، إذ قدمت له جملة من النقائص والعيوب من أهمها:

«- كون هدفه تعليمي فهو يهتم بالأنشطة اللامنهجية، ولا يهتم بالجانب العلمي.

- لا يلبي الحاجات النفسية للطلبة.

- اهتمامه بالجانب العقلي والتنمية الذهنية، وإهماله الجوانب الأخرى (النفسية، الجنسية، الاجتماعية، واقتصاره على الجانب المعرفي.

[1] إبراهيم محمد إبراهيم محمد عثمان: مناهج البحث اللغوي ومدارسه، ص 12.

- لا يراعي الفروق الفردية بين الطلبة، أب أنه يعتمد مبدأ المساواة وعدمن الأخذ بالأفضلية.

- اقتصار دور المعلم على التلقين والإلقاء، لذلك فإنّ طرائق التعليم السائدة فيه وهي المحاضرة، الإلقاء والتسميع.

ونخلص من كل هذا أنّ هذا المنهج صب اهتمامه على الجوانب (العقلية، الذهنية) وإهماله الجوانب (العلمية، النفسية، الجسمية، الاجتماعية).[1]

د-المنهج المقارن:

يعتبر المنهج المقارن من المناهج التي لا تزال تشغل علماء اللغة والنحاة في الغرب والشرق، بحيث ظهر أمره: «**مع بداية ظهور اللغة السنسكرتّية، إذ تعتبر حافزا رئيسا للدراسات المقارنة على امتداد تاريخ علم اللسانيات الحديثة بداية القرن التاسع عشر وتطور مناهجها**»[2]، وهذا دليل على أن ظهور المنهج المقارن مرتبط بظهور اللغة السنسكرتية؛ وهو المنهج «**الذي يدرس العلاقة بين لغتين أو أكثر ضمن أسرة لغوية واحدة (...) بحيث يدرس الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في اللغات التي تنتمي إلى آسرة واحدة (...) حتى يمكن إصدار الحكم عليها...**» [3]؛ وهذا يؤكد أن الدراسة المقارنة لا تخرج عن المقارنة بين اللغات ذات الفصيلة الواحدة.

كما أنّ هذا المنهج يقوم بدراسة «**التقابلات المطردة أو المنظمة بين لغتين أو أكثر داخل العائلة الواحدة، ذلك أنّ الدراسة التاريخية والوصفية لا تصلحان وحدهما لتفسير عدد من الظواهر في لغة معينة، ومن ثمة كان من اللازم عرضها على الدراسة المقارنة**»[4].

ومن ثمة فالمنهج المقارن هو الأنسب لهذا النوع من الدراسة، والكشف عن العلاقات الموجودة بين اللغات.

---

[1] عبد الرحمان الهاشمي، محسن علي عطية: تحليل محتوى ومناهج اللغة العربية "رؤية نظرية وتطبيقية"، دار صفاء للنشاط والتوزيع، الأردن، ط1، 2009، ص 30.

[2] عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ص 117.

[3] محمد علي عبد الكريم الرديني، شلتاع عبود: منهج البحث اللغوي الأدبي واللغوي، ص 188.

[4] المرجع نفسه، ص 188.

وفي هذا الصدد يقول **محمود فهمي حجازي**: «**يقوم المنهج في علم اللغة المقارن على أساس تصنيف اللغات إلى أسرات** (...) **تمثل أكثر لغات المنطقة الممتدة من الهند إلى أوروبا**»[1]؛ وهكذا يتضح أنّ الدراسة المقارنة ركزت على اللغات الهندوأوروبية.

هذا وقد شهد المنهج المقارن دراسة العديد من جوانب اللغة وأفرد العالم **موسكاتي** وزملائه بيانات المنهج المقارن ومستلزماته مع جوانبه التحليلية ومؤشرات قواعد التحكم التي قدموها عن اللغات السامية.

درس اللساني المقارن مجموعة الجوانب المختلفة والصوتية المنتظمة، كما تطرق لدراسة العدد ومضاعفاته المعتمدة في العدد الحسابي.

- دراسة جوانب الصرف، ومكوناته من الوحدات الصرفية، وأنظمة السوابق واللواحق، والدواخل وأبنيتها التركيبية، والتنوعات الصرفية(كاسم الفاعل واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم الآلة، واسم الزمان، واسم المكان، والمفرد، والمثنى والجمع، وأبنية الأفعال، من حيث التجرد والزيادة والتعدّي، واللّزوم، وأبنية الأسماء.

- دراسة جوانب الدلالة اللغوية، وتاريخ الكلمات، مع بيان صلات التماثل أو التقارب، وطرائق الاستعمال، مع استبعاد الألفاظ المستعارة من لغة أخرى، وهذا الجانب المقارن يفيد صناعة المعاجم اللغوية في تأصيل موادهم.

- دراسة جوانب النحو، من حيث مقارنة الضمائر المختلفة لأنواع الجنس، والعدد والغيبة والحضور، والنكرة والمعرفة والتراكيب والأدوات وحروف الجر، والأسماء، وسواها، من مركبات ومقتنيات المادة النحوية [2].

هذا وقد أشار الباحثون إلى دوافع الاهتمام بالمنهج المقارن وهي:

- البحث عن اللغة الأولى ومقارنتها بالظواهر اللغوية التي تكشف، عن مواطن الاتفاق والاختلاف والوقوف على الروابط، والعلاقات بين اللغات المقارنة، والكشوف الجغرافية، والاغتراب عن الأوطان والنظرة القومية وعلم البحث في تاريخ الحضارات القديمة.

---

[1] عبد الله أحمد جاد الكريم: درس النحوي في القرن العشرين،ص 205.

[2] عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ص 119- 120.

ومع هذا فالدراسات اللغوية العربية في مجال البحث المقارن لم تكن في المستوى المطلوب، فهي عبارة عن إشارات مقارنة في البحوث القديمة' ومن ثمة فحقيقة هذا العلم البحث والكشف عن أوجه الاختلاف والتشابه في اللغات. [1]

أمّا إذا عدنا للحديث عن حاجة العربية للمنهج المقارن، فيجب الوقوف على علاقاتها مع أخواتها.

«فالعلاقة بين اللغة العربية وأخواتها وطيدة: /التيطية /الحامية /الحبشية / الكنعانية/ الآرامية/ الثامودية/ الصفوية/ اللحيانية/ العبرانية/ السريانية، ومنه بغية معرفة التأثر والتأثير والأصل عن الفرع وإدراك مختلف التغيرات في كل لغة ولهذا فالعربية بحاجة ماسة إلى هذا المنهج الاعتبارات التالية:

– دراسة العربية من داخل اللغات التي تنتمي إليها، فيمكن الاهتداء إلى معرفة بعض القضايا التي لم يتمكن القدامى من اكتشافها، وخاصة إذا أخضعنا الألواح والنقوش القديمة للدراسات المعلوماتية.

– الميز بين العربي الخالص للعربية، والعربي المشترك بين اللغات الجزرية كالأكادية والعبرية والسريانية والعربية الجنوبية.

– الميز بين العربي الأصيل والدخيل الذي وفد إلى العربية من اللغات الأخرى التي احتكت بها العربية مثل: الفارسية، والتركية والانجليزية واللغات الأوروبية.

– الإفادة في مجال الدلالة من مقارنة العربية باللغات السامية لتصحيح ما وقع فيه القدامى من اللغويين من أوهام.

فالمنهج المقارن يقارن بين اللغات ذات الأصل الواحد، ولديه عدة إيجابيات تتمثل في التمييز بين الأصل والدخيل من اللغات، والخالص والمشترك، والإفادة في مجال الدلالة بالنسبة للغة العربية ومقارنتها باللغات السامية. [2]

[1] صالح بلعيد: في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث، ص 49-51.
[2] المرجع نفسه: ص 51.

الفصل الثاني: منهج البحث اللغوي في المدرسة البصرية والمدرسة الوظيفية

I. **المدرسة البصرية والدرس اللغوي.**

أ- نشأتها

ب-أبرز أعلامها.

2/ مصادر الدراسة البصرية

أ- القرآن الكريم

ب- القراءات القرآنية

ج- الحديث النبوي الشريف.

د- الشعر.

هـ- الشواهد النثرية

3/ خصائص المدرسة البصرية.

4/ منهج البصريين

أ- السماع

ب- القياس

5/ البحث اللغوي عند البصريين.

أ- المستوى النحوي (التركيبي)

ب- المستوى الصوتي.

ج- المستوى الصرفي

II. المدرسة الوظيفية والدرس اللغوي.

أ- نشأتها.

ب- أبرز أعلامها.

2/ مبادئ المدرسة الوظيفية.

3/ منهج الوظيفيين.

أ- تحديد اللغة.

ب- تحليل اللغة ووصفها.

ج- المنهج الآني (الوصفي).

د- المنهج المقارن.

4/ البحث اللغوي عند الوظيفيين.

أ- المستوى التركيبي.

ب-المستوى الصوتي.

ج- المستوى الصرفي.

I. المدرسة البصرية والدرس اللغوي.

ارتبطت الدراسات اللغوية على اختلاف موضوعاتها بمصطلح "علم اللغة"، هذا المصطلح العلمي الحديث لم يتبلور إلا بعد أن استفاد من جهود القدامى الذين ساهموا في وضع أصوله، وتثبيت قواعده، حتى أصبح علمًا له أدواته ومناهجه المتبعة، فأصبح يهفوا إلى توثيق الأبحاث والدراسات اللغوية، «**فهو العلم الذي يبحث في النظريات اللغوية العامة ومناهج البحث فيها**»[1]؛ حدّد هذا العلم مسار الظواهر اللغوية وطريق وصفها، كما رصدت في مجمل تجليات مستوياتها، تحليلها واستخراج الأصول والقواعد منها.

لقد حدث تمايز في البحث اللغوي الذي عرفته اللغة العربية في بدايتها إذ تنبّه علماء العربية الأوائل إلى مستعمليها والنظر في أحوالها، انطلاقا من وسطها الطبيعي الذي نضجت فيه، وانطلاقا من هذه المرجعية البيئية والثقافية ظهر البحث اللغوي الذي ارتبط ظهوره هو الآخر، بظهور مدارس لغوية أثبتت استقلاليتها فبينت طبيعة الأسس التي قامت عليها، وأيضا المنهج الذي تميزت به عن سائر المدارس الأخرى، أو المذاهب معبرة عن أصالة الدرس اللغوي.

وفي هذا المجال نجد صدى لما اتبعه علمائنا الأوائل الذين نسبوا إلى المدرسة البصرية، هذه الأخيرة التي ارتبطت مفهومها بالدرس النحوي، ولكن قبل تعرضنا لهذه الدراسة –"المدرسة البصرية"– سنحاول إسقاط مفهوم شامل لمصطلح "المدرسة".

وبالرّغم من هذا كله، إلاّ أنه قد وجدت بعض الآراء التي فندت القول وجود مصطلح "المدرسة" في التراث وفي اعتبارهم أن هذا المصطلح حديث النشأة، ومن الذين تطرقوا إلى مفهومها نجد: **أحمد عمر مختار** الذي أشار إلى ملامح تكوينها «**فهي وجود جماعة من النحاة بينهم رباط من وحدة التفكير والمنهج في دراسة**

[1] خليل أحمد عمايرة: دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر "منهج وتطبيق"، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1984، ص 18.

النحو، ولا بدّ أن يكون هناك الرائد الذي يرسم الخطة ويحدّد المنهج والتابعون يتبعون منهجهُ»[1]، كل هذه الصفات إذا انطبقت على جماعة من اللغويين مثلا فإنها تدل على الاشتراك في التفكير، فالمدرسة بصفة عامة يدور مفهومها حول المنهجية التي تحدد الموضوع والمضمون.

ومن هنا وجب علينا الإحاطة بجوانب نشأة المدرسة البصريّة وأهم أعلامها، وإشارة منا إلى أصالة منهج البحث اللغوي فيها من حيث الانطلاقة التاريخية التي ارتبطت عمومًا بالدين الإسلامي وبالبيئة العربية.

أ-نشأتها:

البصرة مدينة عراقية ظهرت كحضارة علمية وثقافية، بعد الفتح الإسلامي لها على يد **عقبة بن غزوان بن ياسر** سنة (**814هـ/635م**)[2]، «**وقد كانت تعرف في العصور الوسطى بـ"بلسرة" (Balsura)**» [3] تميزت بموقعها الجغرافي الذي كان له الأثر الكبير في أن تكون حضارة إسلامية بحقّ، خاصة وأنها أقرب مدن العراق إلى القبائل العربية التي لم يعتري ألسنتها اللحن الذي أصاب البلاد العربية ولم تفسد لغتهم بروائح العجمة، فالوافدون إليها مازالت تغلب عليهم نزعة البداوة فهي«**تقع على سيف البادية وأكثر عربها من قيس وتميم، وقد عرف شأنها في الاحتجاج باللغة الفصيحة**»[4]، هذا الموقع جعلها مقصدًا للتجارة من كل مكان، وكذا موقعا للثقافة والأخذ بالعلوم منها، إذ امتزجت في هذه المنطقة العديد من الأجناس البشرية، وكذا العديد من الثقافات التي اختلفت باختلاف الأجناس (اليونانية،الفارسية، الهندية)، هذه الاختلافات ساعدت البصرة على التطور ثقافيا وعلميا وهذا كله يعزو إلى طبيعة المجتمع البشري والموقع الجغرافي.[5]

---

[1] خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 30.

[2] عبد الرحمان السيد: مدرسة البصرة النحوية، نشأتها وتطورها، دار المعارف، مصر، ط1، دت، ص 23.

[3] خديجة الحديثي: المدارس النحوية، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط3، 2003، ص 26.

[4] عبد المجيد عيساني: أصول وشواهد الاتجاهات النحوية، ص 12.

[5] المرجع نفسه: ص 13.

كما أنها كانت تعيش حالة من الاستقرار السياسي، الأمر الذي جعلها تتجه اتجاهات أخرى، نحو التعلم والتدريس، إذ كانت تقام بها للتّفقه والتعلم من طرف العديد من علمائها، فكان "سوق المربد" بمثابة المدرسة التي تعلم أجيالا تلو الأخرى، وهو شبيه سوق عكاظ في الجاهلية، يقصده كل راغب في العلم والتعلم، كل يأخذ من ذاك، ويوسعون معارفهم العلمية ويصحّحون أخطائهم اللغوية. [1]

ولعل خير دليل على ثقافة البصرة العلمية، هو وجود المعالم الدينية في كلّ أرجائها، وأهم هذه المعالم المساجد التي كانت تقام بها حلقات التدريس والمجالس العلمية، إضافة إلى المناظرات التي تحدث بعض العلماء وأشهرها المناظرة التي حدثت بين سيبويه من البصرة والكسائي من الكوفة فيما عرف "بالمسألة الزّمبورية"، وأهم مجلس من مجالسها مجلس واصل بن عطاء (80-11هـ)، ومجلس حماد بن سلمة، وحلقة الخليل بن أحمد الفراهيدي [2]، كان للعوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية دور كبير في «**صقل ثقافة ومعرفة أهل البصرة الوافدين عليها في اللغة والنحو والأدب وعلم الكلام والتفسير والحديث**»[3]

إنّ حديثنا عن البصرة هو حديث عن النحو العربي الذي نشأ بها نتيجة لما ذُكر سابقا -اللّحن- الذي انتهج العلماء بسببه نهج البحث عن قواعد وضوابط لغوية حفاظا على سلامة اللغة العربية فارتبطت البصرة ارتباطًا وثيقًا بالدرس النحوي وبرعت فيه، فما إن ذكرت البصرة، ذكر النّحو «**فالنحو قد وُضع ونما واكتمل على أرض البصرة وعلى أيدي عُلمائها**»[4]، هؤلاء العلماء الذين أناروا طريق النحو العربي وأسسوا المدرسة البصرية «**فأوّل ما رأينا البصرة تضع على يد أبي الأسود الدّؤلي نقط الإعراب**»[5]، توالت طبقات البصريين

---

[1] إبراهيم عبود السامرائي: المدارس النحوية، ص24- 25.

[2] خديجة الحديثي: المدارس النحوية،ص 29.

[3] صلاح روى: النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2003، ص 91.

[4] المرجع نفسه، ص 48.

[5] شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، د س، ص 17.

بعد أبي الأسود الدّؤلي، إذ تكاد كل الروايات تُجمع أنّ «**أبو الأسود الدؤلي هو واضع النحو العربي بأمر من علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)...فقد ضبط القرآن بالنّقطِ**».[1]

أسس علماء البصرة النحو، ووضعوا قواعده وأسسه، فكانت دراستهم قائمة على منهج؛ حدّد هذا الأخير طريقة وضعهم لتلك القواعد، واستمرّ الأمر في البحث واستنباط القواعد وتوالت جهودهم «**واستمرّت جهود المدرسة البصرية على أيدي علمائها الأوائل، ابن إسحاق الحضرجي، وعيسى بن عمر الثقفي، عمر بن العلاء**».[2]

وقد كان هذا طريق المدرسة البصرية في نشأتها، بدليل ارتباطها بالبحث اللغوي خاصة "الدرس النحوي" هذا المنحى الطبيعي الذي سلكه علمائها الأوائل، إلى أن ظهرت إلى الوجود كمدرسة لها منهجها وأسلوبها وعلمائها.

ولا بدّ لنا من الإشارة إلى أنّ مصطلح "المدرسة" لم يطلق على العلماء البصريين وإن كان لهم الفضل الأول في علم النحو، إلاّ أنه قد ذكرت تسميات عدّة (نحاة البصرة، أهل البصرة، البصريون، علماء البصرة)، فكانت النسبة إلى البلد، لأن القدماء لم يسمّوا الاتجاه الذي يتجهون إليه في دراستهم وبحثهم "بمدرسة"، وإنما استعملوا التسميات التي ذكرت، فقد أطلق واستعمل من طرف باحثين عرب منهم: "**أحمد عمر مختار**"، إضافة إلى الغربي "**بروكلمان**" الذي أطلق على علماء البصرة "**البصريون**"، واستعمله جوتولد فأطلق لفظ المدرسة البصرية.[3]

ومجمل القول: أن المدرسة البصرية كانت لها دوافع دينية وقومية، وكذلك وجدت عوامل ساعدتها على النهوض بالدرس النحوي العربي ما جعلها تكتسب سمات المدرسة الحقيقة، وتجلى ذلك من خلال نظرتها الخاصة

---

[1] عبده الرّاجحي: دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1980، ص 10.

[2] المرجع نفسه: ص 10.

[3] خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 13.

في البحث اللغوي مع علمائها، خاصة الخليل الذي كان له الفضل في تطويره والوصول إلى ما وجدناه في مؤلف "**الكتاب**" سيبويه هذه المدرسة التي تميزت بمنهجها في تأصيل الدرس النحوي وتقعيده.

ب–أبرز أعلامها:

تأسست المدرسة البصرية على يد علماء بذلوا جهدا في البحث اللغوي ودراسة النحو، وتخريجه في قواعد تعصمنا من الوقوع في الأخطاء النحوية خاصّة وأنّ ظهورها ارتبط بالحفاظ على القرآن واللغة، ومن أهم هؤلاء العلماء الذين توالت طبقاتهم نجدُ:

– أبو الأسود الدّؤلي:

هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان حندل بن يعمر بن حليس بن نفاثة بن عدي، ابن الدّؤلي بن بكر بن عبد مناه بن كنانة[1]، وهو مفخرة العرب في اقتراح منهج النحو العربي، أول من فتح الته على يده أبواب النحو بعد إشارة من الإمام علي (رضي الله عنه) [2].

لقد كان أبو الأسود باحث النحو ومعلّمه في البصرة، ثم توالت بعده طبقات النحويين من أتباعه الذين سنّوا سنّه في المنهج، فقد وضع نقط الإعجام والإعراب، هذا وقد عبّر الزّبيدي عن صنيع هذا الفكر بقوله «**أول من أصّل النّحو واعمل فكره فيه أبو الأسود ظالم بن عمر الدّؤلي**»[3]، اخذ عنه نصر بن عاصم، ويحي بن يعمر فقد كان شيخهم الأول وهم أتباعه، وقد توفي سنة (69هـ). [4]

---

[1] صلاح روّاى: النحو العربي "نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله"، ص 111.

[2] عبد المجيد عيساني: أصول وشواهد الاتجاهات النحوية، ص 19.

[3] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 16.

[4] السيرافي القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله: أخبار النحويين البصريين، تحق: طه محمد الزنيبي، محمد عبد المنعم خفاجي، ملتزم الطبع وللنشر، دب، ط1، 1955، ص 14.

-أبو عمرو بن العلاء:

هو زيان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن حجر بن خزاعة بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم قيل أنّه "نحوي مقرئ" ولد بمكة سنة (70هـ) ونشأ وعاش بالبصرة»[1]، وهو أحد القراء السبعة المشهورين، عني بإقراء الناس القرآن في المسجد الجامع بالبصرة كما عني بلغات العرب وغريبها وأشعارها وأيامها ووقائعها، ويقول عنه ابن جني، «**كانوا ممن نظروا في النحو والتصريف، وتدبروا وقاسوا**».[2]

ومن تم فهو من «**اللغويين والقراء أقرب منه إلى أن يكون من النحاة، غير أنه نقلت عنه أنظار نحوية جعلتنا نسلكه بين أدائه** (...) **وفي أخباره مما يدل على أنه كان يأخذ في القواعد** (...) **راويا عن رواة الشعر القديم إذ كان قد سمع عن العرب وأكثر من السماع**».[3]

أما عن منهجه فقد عرف «**بالاستنباطات الدقيقة، من لغة العرب ويظهر ذلك فيما يرويه عن الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن قولهم (أرهبته) و(رهّبته)، فقال: ليس سواء فعلت، رهّبته، فرّقته وأذهبته أدخلت الفرق في قلبه، قال أبو عمرو ذهب من يعرف هذا منذ ثلاثين سنة**».[4]

---

[1] صلاح روّاى: النحو العربي "نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله"، ص 135.

[2] إبراهيم عبود السامرائي: المدارس النحوية، ص 51.

[3] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 27.

[4] صلاح روّاى: النحو العربي "نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله"، ص 136.

-نصر بن عاصم الليثي:

«**نصر بن عاصم بن عمرو بن خالد بن حزم بن أسعد بن وديعة بن مالك بن قيس بن عامر بن ليث بن بكر عبد مناة بن علي بن كنانة**» [1]، وقد بلغ هذا العالم مرحلة التفقه اللغوي، فكان «**عالما بالعربية فصيحا، ويعد من قدماء التابعين، أخذ القرآن والنحو عن أبي الأسود الدؤلي، ولذا كان يسند إليه وأخذ عن أبو عمر بن العلاء**».[2]

كما أنّ نصر بن عاصم روي عنه الكثير من العلماء منهم: قال عمرو بن دينار: «**اجتمعت أنا والزهري ونمر بن عاصم فتكلّم نصر، فقال الزهري: إنه ليفلق بالعربية تفليقا**» دليل على أنّ نصر بن عاصم كما قيل بلغ التفقه اللغوي، كما أنه رأى رأي الخوارج.

يتميز منهج نصر بن عاصم بالبساطة تبعا للطبقة التي ينتمي إليها، فعلى سبيل المثال، قام «**بإعجام المصحف بالنقط المعروفة الآن التي بعد أن أصلح من النقط التي وضعها أبي الأسود الدؤلي، حيث حولها إلى الحركات المعروفة فحلت نقط نصر بن عاصم محل نقط أبي الأسود، وتحولت نقط أبي الأسود إلى ضمة أو ضمتين أو فتحة أو فتحتين أو كسرة أو كسرتين**» [3]، ويبدو من خلال هذا القول أنّ نصر بن عاصم كان اهتمامه منصب على القرآن الكريم.

-الخليل بن أحمد الفراهيدي:

أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد بن عبد الرحمان بن عمرو بن تميم بن فرهود بن شبابة بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ببن الغوث بن محمد بن اليمن، ولد سنة مائة للهجرة في بلدة ودام الساحل

[1] صلاح روّاى: النحو العربي "نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله"، ص 129- 130.
[2] إبراهيم عبود السامرائي: المدارس النحوية، ص 46.
[3] المرجع نفسه، ص 48.

بولاية المصنعة من سلطنة عمان[1]، الرجل الذي وضعت القوانين النحوية على عماده، «**والذي وهب نفسه للبحث من خلال الأعمال التي كان يداوم عليها، في جمع المعلومات، ومجالسة البدو، في إسناد المسائل إلى أصحابها وتأكيدها، وتدوين المادة التي جمعها وتنقيتها وتبويبها، كان عقل الخليل من العقول الخصبة، لدرجة أنّه اهتم بالعلوم الشعرية خاصة العلوم الرياضية، وقرأ كل ما ترجم**».[2]

قد عمل الخليل على استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه، وهو أول من ألف كتاب "العين" كما أنّه حصر أشعار العرب، بحيث يعد رائد العلوم العربية.

كان الخليل من أكثر النحويين الذين أدركوا مبكرا أنّ السبيل للوصول إلى نتائج دقيقة هو اتباع المنهج العلمي، ومن ثم فمنهجه استقرائيا، استنباطيا كثير الاعتماد على القياس والتحليل والتأويل وإعراض القول بالعوامل وتقديرها، وهذا ما تمّ العثور عليه في أشهر كتبه. [3]

ومما سبق ذكره يمكن القول أنّ الخليل تفطن لعدة مسائل، (الدرس الصوتي العربي)، وتعلم عدة علوم وبسطها (كالنحو والصرف...) ونبغ في عدة مجالات، وفي هذا المعنى يقول أبو الطيب اللغوي «**وكان الخليل أعلم الناس وأذكاهم، وأفضل النّاس وأتقاهم**».[4]

– سيبويه:

«**يُكّنّى أبا بشر، واسمه عمر بن عثمان بن قنبر مولى بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد**»[5].

---

[1] صلاح روّاي: النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله، ص 163.

[2] شرف الدين الراجحي وآخرون: العربية وعلم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2003، ص 69.

[3] خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 64.

[4] صلاح روّاى: النحو العربي، نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله، ص 168.

[5] السيرافي: أخبار النحويين البصريين، ص 77.

اشتهر بلقبه سيبويه، وهو لقب أعجميّ يدلّ على أصله الفارسي...ولد بقرية من قرى شيراز تسمى البيضاء...، اختص بالخليل بن أحمد وأخذ منه كلّ ما عنده في الدراسات النحوية والصّرفية مستمليًّا ومدوّنًا[1] يعدّ سيبويه إمام النحاة وأعلمهم في قواعد النّحو، فقد أخذ عن شيخه الخليل واستزاد منه فكره ومُؤلّفه "**الكتاب**" خير دليل على ثقافته النحوية الواسعة، وقد قيل فيه "قرآن نحو" هذه الدرجة التي بلغها هذا المؤلف من النّقد الإيجابي تعبير عن صنيع سيبويه [2]، اشتهر بمناظرته مع الكسائي من المدرسة الكوفية فيما عرف (بالمسألة الزّمبوريّة) وقد اتبع منهج شيخه الخليل[3]. «**استعمل السّماع والقياس في الاستشهاد بمصادر اللغة العربية في الدرس النحوي**»[4].

توفي بشيراز سنة (180 و 195هـ) مخلّفا ورائه بصمة لا تُنسى في التراث العربي وهو مؤلّفه "الكتاب" الذي أخذ عنه جيل عن جيل حتى يومنا هذا «**ظلّ قدره لكل العلماء والدّارسين على مرّ الأزمنة، وهو مثل منهج المدرسة البصرية**»[5]، صنّف هذا الكتاب تأصيلا للدراسات اللغوية العربية على اختلافها وإن كان الأساس فيه النحو العربي.

2-مصادر الدراسة البصرية:

شهدت الدراسات العربية تنوعا في المصادر التي اعتمد عليها العرب أثناء جمعهم للغة، وكذا وضعهم لأصول العربية اللغوية والنحوية، حتى وإن وجد بينهم خلاف حول بعضها في زمن الاحتجاج، ويمكن حصر المصادر التي اعتمد عليها البصريون في دراستهم فيما يلي:

---

[1] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 57.

[2] عبد المجيد عيساني: أصول وشواهد الاتجاهات النحوية، ص 20.

[3] صلاح روّاى: النحو العربي "نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله ، ص .

[4] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 80.

[5] عبده الراجحي: دروس في المذاهب النحوية، ص 11.

أ–القرآن الكريم:

هو كلام الله عزّ وجل، والنص القرآني المدوّن في المصحف الشريف، والوحي المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، وقد اعتبروه في أعلى درجات الفصاحة، وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة، فهو المصدر الأول الذي اعتمده البصريون في الدراسة اللغوية والتقعيد للنحو، لكونه قمة الفصاحة وذروة البلاغة، وفي هذا قال البغدادي «**كلامه عزّ اسمه أوضح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذّه**»[1]، وهذا دليل على أنّ القرآن المصدر الأول الذي أجاز البصريون الاستشهاد به.

ولم يعرف أحد عن اللغويين البصريين أنّهم تعرضوا لتخطئة القرآن ونقده، بل كانوا يدافعون عن النص القرآني ضد ما يوجه إليه من شبهات.

هذا وقد استشهدوا بآياته في كتاباتهم ومؤلفاتهم، ومن ذلك ما ورد في كتاب سبويه من آيات قرآنية معبّرًا عنها "المازيني" في قوله: «**إنّ هذا الكتاب يشتمل على ثلاث مائه وكذا آية من كتاب الله عزّ وجل...وأكثر الآيات...مسوقة للاستدلال على الحكم الذي يقرّره من ناحية الاستعمال اللغوي**»[2]؛ وهكذا يتضح أن القرآن الكريم هو المصدر الذي وقف البصريون منه موقفا موحّدًا معتمدين عليه في الاستشهاد على مادتهم.

ب–القراءات القرآنية.

هي كيفيات في النطق بالألفاظ القرآنية اتفاقا واختلافا معزوة لناقلها أو الوجوه المختلفة التي سمح النبي صلى الله عليه وسلم بتلاوة المصحف بها، ومن بين القراءات التي أخذوا بها، القراءة المتواترة وهي التي رواها جمع غفير عن جمع، أي مسندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم نتعبد ونُصلّي بها، والقراءة المشهورة وهي القراءة التي صح سندُها واشتهرت عند القراء ولم تبلغ حدّ التواتر.

---

(1) حمودي زين الدين عبد المشهداني: الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع الهجري، ص 17.

(2) عبد الله أحد جاد الكريم: الدرس النحوي في القرن العشرين، ص 304.

أما القراءات التي لم يأخذوا بها فهي القراءة الآحاد والقراءة الشاذة والقراءة الموضوعة والمدرجة، هذا وقد وقف البصريون موقف الشك وضيقُوا فيها أشد التضيق، فلم يأخذوا بقراءات عدّة وهي شيء من العربية، كما أنها أساس في لغات العرب فقد حمَلوا على الخطأ قراءة عبد الله بن عامر مقرئ أهل الشام، في قوله تعالى «**وكَذلِكَ زُيِّنَ لكَثِيرٍ منَ المُشْرِكِينَ قتْلُ أولادِهُم وجر شُرَكائِهم**». (سورة الأنعام، الآية 137).

لم يقبلوا قراءة بن عامر مع علمهم أن للقراءة سندا متصلاً وأنها من القراءات السبع وهي حجة قائمة، كما ذهبوا إلى تخطئة قراءة نافع لقوله تعالى «**لهُمْ فِيهَا معائش**» (سورة الأعراف، الآية 10)، وهكذا يتضح أن البصريين لم يقبلوا كل قراءة خالفت قياسهم النحوي. [1]

كما كان البصريون يعتبروا القراءات التي خالفت قواعدهُم ابتداع من القراء ليس لها سند يوصلها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي قراءات مشهورة مع اتصال سندها، مثل تخطئتهم للقراءة حمزة مُقرئ أهل الكوفة. [2]

كما تحدث البصريون على ضروب القراءات، وقد ورد هذا في مقدمة كتاب المحتسِبْ لابن جني (...وضربا تعدي ذلك فسماه أهل زماننا شاذًّا، أي خارجًا عن قراءة القراء السبع المقدم ذكرها...) [3]، وهذا دليل على أن البصريين أخذوا بالقراءات التي لم تخالف قواعدهم وأقبستهم النحوية، ولم يكترثوا بالقراءات التي خالفتهم في ذلك.

ج-الحديث النبوي الشريف:

هو الكلام الصادر من الرسول صلى الله عليه وسلم يأتي بعد كلام الله عزّ وجلّ في الفصاحة، والبلاغة يتميّز بغزارة المادة، ووساعة الإثراء اللفظي.

---

[1] إبراهيم عبود السامرائي: المدارس النحوية، ص 35- 36.

[2] المرجع نفسه: ص 36.

[3] إبراهيم عبود السامرائي: المدارس النحوية ،ص 36.

أما الاحتجاج به، فقد عدّ مسألة اختلف اللغويون والنحاة فيها، إذ يؤخذ على الأوائل البصريين، أنّهم استبعدوا الحديث الشريف في تقعيدهم للنحو، ويلخص السيوطي موقفهم فيقول: «**عن الواضعين الأولين لعمل النحو والمستقرئين للأحكام من لسان العرب، كأبي عمرو وعيسى ابن عمر (ت 149هـ) والخليل (ت175هـ) وسيبويه (ت18هـ) من أئمة البصريين** (...)، **لم يحتجوا بالحديث**» [1]، وهذا يوضح عدم الاستشهاد بالحديث الشريف زمن هؤلاء البصريين المذكور أسمائهم في القول.

قد ذهب فريق آخر إلى القول بالاستشهاد وبالحديث الشريف مبينا المدة التي احتج فيها به وهي زمن تأليف المعجم الأول من طرف الخليل بن أحمد وانتهاء بمعجم "الصحاح" للجوهري. [2]

في حين إذا عدنا للحديث عن الأسباب التي جعلت البصريين يرفضون الاستشهاد بالحديث البنيوي الشريف فهي اختلاط العرب بغير العرب وراية الحديث بالمعنى دون ضبطه بلفظه.

أما عن الأسباب التي جعلتهم يستشهدون به فيمكن حصرها في عدم تلوث الألسنة بالفساد اللغوي الذي يتمثل في ظاهرة اللحن. [3]

د–الشعر:

يحتل الشعر مكانة متميزة في نفوس العرب، بحيث كانوا يحتفلون إذا ما نبع شاعر في القبيلة، مما نتج عن ذلك أن كثُر حفاظه ورواته، وتداولوه في المناسبات مما جعله من أهم الينابيع للشواهد اللغوية والنحوية.

وقد مثلت الشواهد الشعرية غالبية كتبهم ومؤلفاتهم في مختلف التأليف اللغوي والنحوي والصرفي لكونه ديوان العرب، ولهذا فقد لاقى هذا المصدر اهتماما كبيرا من طرف اللغويين البصريين واعتبروه الدعامة الأولى، بعد القرآن

---

[1] عبد الله أحمد جاد الكريم: الدرس النحوي في القرن العشرين، ص 307.

[2] حمودي زدين عبد المشهداني: الدراسات اللغوية خلال القرن الرابع هجري، ص 19.

[3] المرجع نفسه، ص 19.

الكريم لهم حتى أنه «**تخصصت كلمة الشاهد فيها بعد وأصبحت مقصورة على الشعر فقط، وقد اعتبروا الأبيات التي وردت في كتاب سيبويه، أعظم الشواهد وأصحها، مع جهل قائلوها...**» [1]

وهكذا يتضح أن البصريين اعتمدوا مصدر الشعر من أهم مصادر الاحتجاج لكن إذا عدنا للحديث عن طبقات الشعراء، فقد أخذوا ببعضها وأبعدوا البعض منها، إذ احتجوا بالطبقة الأولى والثانية وهما: شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام، وأجازوا الاستشهاد بالطبقة الثالثة، لكن رفضوا الاستشهاد بالطبقة الرابعة أي طبقة شعراء المولدين،وفي هذا الصدد قال أحدهم: «**اعتمدوا الشعر الجاهلي أصلا من أصولهم، وقد تجاوزوه إلى الشعر الإسلامي، فكان لهم في شعر الفرزدق وجرير وأراجيز العجاج ورؤية وأبي النجم، مادة اعتمدوها في نحوهم...**» [2]

ومن هنا يمكننا القول، بأن المادة التي احتج بها البصريون في وضع أصول العربية: لغة التنزيل والشعر القديم جاهلية وإسلامية، وما أثر من الأمثال الجاهلية، إلا أن الحديث النبوي الشريف اختلفوا في الأخذ به.

هـ: الشواهد النثرية:

تعتبر الشواهد النثرية من مصادر الدراسة عند البصريين، وتعد من آداب العرب الهامة ويأخذ بها في الاستشهاد به مكانة الشعر وشروطه، كما أنها تتجلى فيها نقل عن بعض الأعراب، ومن يستشهد في حديثهم العادي، محددين في ذلك بشروط تشمل الزمان والمكان بالنسبة لهذا النوع من المادة.

[1] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 43.

[2] إبراهيم عبود السامرائي: المدارس النحوية، ص 33.

وقد حددوا في البادية القرن الرابع الهجري وفي الحواضر نهاية القرن الثاني الهجري، أما المكان فقد حدّدوه بقرب القبيلة إلى حياة البداوة وحكموا على اللغة في هذه الحالة بأنها فصيحة – والثقة فيها أكثر، وكلما كانت اللغة محل شك ومثار شبه فهي قريبة من الحواضر.[1]

أما الأمثال والحكم فقد كانت كتبهم تزخر بهذا المصدر الذي كانوا متمسكين به إذ قالوا: «**نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وهؤلاء (يعنون الكوفيين) أخذوا اللغة عن أهل السواد وأصحاب الكواميخ واكلة الشواريز**»،[2] ويدل هذا على افتخار البصريين بلغتهم الراقية والمصدر الذي اعتمدوا عليه في دراستهم وأخذوا عنه.

لم يجيزوا الاعتماد على النص المكتوب وإنما استندوا على المشافهة والتلقي، وفي هذا الصدد قالوا: «**لا تأخذوا العلم عن صحفي، ولا القرآن عن مصحفي**»[3] ومن ثمة بينوا طريق الأخذ أي اعتماد الراوي اللغوي اعتماد المنهج الحديث.

3–خصائص المدرسة البصرية:

سبق وأن عرفنا بأن البصرة موطن العلوم الفعلية والسباقة للبحث في اللغة، حيث أفنى علماؤها عمرهم في الانتقال والبحث والتسجيل، بدءًا من أبي الأسود الدؤلي وعبد الله بن إسحاق الحضري وعيسى بن عمر الثقفي وأبي عمرو بن العلاء، الخليل بن أحمد، وسيبويه، والمبرد إلى حد انتهاء طبقاتها، ووضعت القوانين النحوية في شكلها النهائي.

هذا وقد عرفت أنها اعتمدت المنهج العلمي الدقيق بعد أن جمعوا المادة واستقرؤوها، ومن ثم فقد امتازت بخصائص منها:

---

[1] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب "مع دراسة لقضية التأثير والتأثر"، ص 51–53.

[2] المرجع نفسه: ص 53.

[3] أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب "مع دراسة لقضية التأثير والتأثر"، ص 54.

- اعتمد البصريون السماع، إذ حملوا على كثير من الشواهد التي خرجت على المسموع الشّائع في أنها شاذّة أو ضرورة، على هذا لا يمكن أن تكون أساسا في الحكم.

- وضع البصريون الأقيسة كما بيّنوا مع الكثير المطرد في كلام العرب المسموع، وأوّل هذا المسموع كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. [1]

- وقف البصريون من القرآن الكريم وقراءته موقف المدافع كما يرد في الكتاب العظيم، فقاسموا على آياته ما أجازوه من قواعد.

- عدم الاحتجاج عند النحاة الأولين بالحديث النبوي الشريف، واعتمدوا عليه في إثباتات يؤخذ بها ويقاس عليها.

- وقف البصريون عن الشواهد الموثوق بها، واستعملوا القياس وبعدوا الشواذ، وكان البصريون إذا رأوا لغتين الأولى مطابقة للقياس والأخرى غير مطابقة، فضلوا المطابقة وضعفوا الأخرى وجعلوها تحفظ ولا يقاس عليها. [2]

4- منهج البصريين:

نَحا البصريون منحَى التنظير والتقعيد لقواعد اللغة العربية، ووضع ضوابط تيسر استعمالها، فاختلفت طريقتهم في البحث اللغوي باختلاف تفكيرهم، وكذلك بسبب مقتضيات وخطوات المنهج الذي اتبعوه، وأيضا بسبب طبيعة الزمان والمكان الذي حدث فيهما البحث اللغوي، فعرف -البصريون- بميلهم إلى استخدام المنطق في نظريتهم الاحتجاجية، وفي الشروط التي طبقتها في مصادر دراستها.

فكانت تلك الشروط عاملا في بروز المنهج البصري الذي اختلف في تحديده الدّارسون، وإن ذكرت مختلف الروايات ملامح البحث اللغوي ومظاهره من خلال النشاط الذي قام به اللغويون الأوائل من البصريين - جمع اللغة العربية- بدليل مؤلفاتهم التي كانت مصدرًا منهم لمعرفة مهجهم، والذي ارتبط بالتفكير العلمي وارتبط أيضا

[1] خديجة الحديثي: المدارس النحوية، ص 75- 76.

[2] صالح بلعيد: أصول النحو، دار هومة ،الجزائر،ط1، ص 146.

بمناهج البحث الحديثة، فقط استعملوا منهج "السماع" و"القياس" في الدرس اللغوي على اختلاف مستوياته،ومن هنا ظهرت بعض مظاهر التفكير العلمي من خلال قواعد وخطوات المنهجين، وهذا ما سنوضحه في منهج البصريين.

أ- السماع:

اعتمد البصريون "السماع" في دراستهم كمنهج؛ فقد كانوا ينقلون اللغة عن طريق الرواية المسموعة من أفواه الثقاة، فكانت تلك خطواتهم الأولى –"السماع" أو مشافهة الأعراب، واعتمادهم على اللغة المنطوقة، وقد تمت هذه الخطوة بعد ملاحظة الواقع اللغوي، هذه الخطوة الأولية في السماع تتفق وخطوات المنهج الوصفي في العصر الحديث «**فقد ألحّ الرّواة واللغويين البصريون على ملامسة الواقع اللغوي الحاضر وكشفه بمشاهدة الأفراد والاستماع إليهم**»[1].

من هذا المنطق حدّدوا أيضا المكان الذي يأخذون منه اللغة فاختاروا من القبائل «**قيسًا وتميما وأسدًا فأخذوا أكثر قواعدهم من هؤلاء في اللغة والإعراب والتصريف**»[2]، لا بدّ أن التحديد المكاني الذي تشغله اللغة المدروسة كان داعيًا لتحديد المدة الزمنية، فحدّدوا نهاية القرن الثاني هجري في المدن ومنتصف القرن الرّابع في البادية عن طريق الرواية والمشافهة والتدوين[3]، قد عبّرت هذه الخطوات التي قاموا بها عن نظرتهم المنهجية.

وفي سياق ما روته الروايات أنهم تشدّدوا في "السماع"، بدليل تميّزهم بين القبائل الفصيحة وغير الفصيحة فكان هذا التّشديد أهم مبدأ في نظريتهم الاحتجاجية «**فقد كان سيبويه يحرص على المسموع...، إن اهتمام**

---

[1] رشيد حليم: المنهج اللغوي العربي والبحث اللساني "دراسة مقاربتية في اللسانيات وأصول النحو"، ص 16.

[2] إبراهيم عبود السامرائي: المدارس النحوية، ص 29.

[3] كريم حسين ناصح الخالدي: منهج التأليف النحوي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007، ص 24- 25.

سيبويه بالسماع عمّن يوثق بعربيّتهم كثير نجده واضح في الكتاب»[1]، هذه الطريقة هي استقراء للواقع اللغوي الذي ينقله اللغوي.

قد اعتمد البصريون إلى جانب "السماع" على الاستقراء واستنباط القواعد من الكلام المروي، وهذا ما وجد عن لغوي البصري من خلال ما جاء في مصادرهم اللغوية؛ أي استقراء تلك النصوص معتمدين في ذلك على الوصف والتحليل وهذه السمات تنطلق من صميم المنهج الوصفي، منهج السماع ينطبق إلى حدّ كبير مع المنهج الوصفي عند اللسانيين،و هذا ما أكّدته لنا رؤية عبده الراجحي، إذ يرى أنّ: «**النحاة العرب درسوا اللغة العربية على أساس المنهج الوصفي...أنهم تناولوها تناولًا لغويًّا مبنيًّا على وصف الظّواهر اللغوية كما هي**»[2]، بعد أخذ اللغة مشافهة، لا بد من وصفها واستقرائها وتحليلها للوصول من خلال هذه الخطوات العلمية إلى تقعيد القاعدة.

وتاريخ اللغة العربية يوضّح لنا منهج –السّماع– الذي سار عليه البصريون في مراحلهم الأولى من جمع اللغة العربية، واستنادًا على الاستقراء عن طريق «**جمع وتصنيف ووضع القواعد، وهذا نتيجة استقرائهم التحليلي للغة**»[3]، بعد الاستقراء تصنف اللغة حسب الموضوعات التي تعالجها «**ومن هذا كله يمكن أن نقول أنّ البصريون اتّخذوا اللغة مادّة للملاحظة والوصف ووضعها في قواعد**»[4]، وقد سطّر اللغويون البصريون هذه الطريقة في مؤلفاتهم فكثيرا ما يوردون في حديثهم عمن سمعوا ومثالنا على ذلك "سيبويه" الذي أوْرد منهج السماع المباشر؛ أي الأعراب الذين سمع عنهم مباشرة أو من حدّثه عنهم فيقول: (**سمِعْنا بعض العرب تَقُولُ وسمعْنَا من**

---

[1] إبراهيم السّامرائي: المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر، د ب، ط1، 1987، ص 18.

[2] كريم حسين ناصح الخالدي: مناهج التأليف النحوي، ص 24.

[3] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2000، ص 16.

[4] تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، دط، دس ، ص 29.

العربِ، وذلك قول العرب سمعنَا عنهم، وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم الحديثُ عنهم) [1]، هذا الأسلوب الذي سلكه سيبويه للحديث عن النقل المباشر للبحث اللغوي.

لا شكّ في أنّ هذا المنهج في التّنظير اللّغوي عند البصريين يبدأ بالجزء ليصل إلى الكل، وذلك من خلال تعميم القاعدة على الظاهرة اللغوية، فهو يرتبط إلى حدّ كبير بالمعيارية التي اتصف بها البحث اللغوي البصري؛ أي مبدأ الصواب والخطأ «**فقد رأى اللغويين المحدثين أنّ السماع عملية صعبة فهو مجموعة من العمال تبدأ بالتأملات، وتنتهي بالكشف عن القواعد ويقوم بين البدء والانتهاء بالتصنيف والاستقراء**».[2]

ب– القياس:

اعتمد البصريون القياس كأساس، فتوسّعوا فيه وتشدّدوا في أحكامه، إذ كانوا لا يقبلون اللغة إلاّ من الرّواة الثقاة «**إذ كان البصريون يتحرّون عن الرّواة، فلا يأخذون إلاّ برواية الثقاة الذين سمعوا اللغة من الفصحاء...فقد أبوا أن يستدلوا بشاهد لم يعرف قائله**»[3]، استعمله البصريون إلى جانب السماع، ونستطيع القول أن القياس يمثل "المنطق" عندهم، ولهذا قيل «**أن المدرسة البصرية هي التي وضعت منهج القياس النحوي، وقد كانت تسعى إلى أن تكون القواعد مطردة إطرادًا واسعًا**»[4].

ظهر هذا المنهج بشكل جلي في ميلهم إلى استخدام "المنطق"، وتفسير بعض الظواهر اللغوية تفسيرا منطقيا، «**فقد رفضوا الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في بعض المواقف فكانت تتحرّى صحّة الاستقراء**»[5]؛ والقياس هو معرفة علمية يقوم على التحليل والتفسير، وهذه الخطوات كما سبق وأن ذكرنا هي خطوات عقلية، وهو أيضا –القياس– ينتج في «**صلب التحليل اللغوي مع ما يتضمنه العمل العلمي من**

---

[1] رشيد حليم: المنهج اللغوي العربي والبحث اللساني دراسة مقاربتية، ص 15- 16.

[2] المرجع نفسه: ص 12.

[3] إبراهيم عبود السّمرائي: المدارس النّحوية، ص 31.

[4] عبده الرّاجحي: دروس في المذاهب النحوية، ص 11.

[5] المرجع نفسه، ص 11.

التحرّر والموضوعية»[1]، وقد استمد التحليل من الواقع اللغوي من ذلك الموضوع الذي اعتنوا به، والذي اتّخذوه ميدانًا للدراسة، وهو اللغة المنطوقة التي كانت على مبدأ الانتقاء بين قبيلة وأخرى، كما نجد هذا الدّليل في قول السيوطي «**أنّ البصريين أصحّ قياسا لأنهم لا يلتفتون إلى كلّ مسموعٍ ولا يقيسون على الشاذِ**»[2].

لقد توسعت المدرسة البصرية في القياس والتعليل، إذ طلبوا لكلّ قاعدة علّة، ولم يكتفوا بالعلّة التي هي مدار الحكم فقد التمسوا عللًا ورائهَا، وقانون القياس عامٌّ، في اللغة ينطلق من السّماع ثم استقراؤها وتحليلها وتفسيرها استنادًا إلى ما وجد في السليقة العربية، وما وجد في نفسية العربي «**باستخدام نفس شروط الاحتجاج في تعليل الظواهر اللغوية بما عندهم من شواهد ثم يستنبطون الأحكام ويقيسون عليها، وهو بذلك يصفون الأقبسة...من كلام العرب المسموع**»[3]، ومن له استعمال لغوي البصرة للقياس «**نجد الخليل وهو من النحاة البصريين أقام قواعده النحوية على السّماع والتّعليل والقياس**»[4]، أصبح القياس منهجا عمًّا في الدراسات العربية ولهذا اتسمت دراستهم بالمعيارية على حدّ قول بعض الباحثين في هذا المجال، إذ كانت قواعدهم قائمة على مبدأ الصّواب والخطأ مستعملي في ذلك العقل (القياس).[5]

إلى جانب القياس كان التأويل والتقدير سمة من سمات المنهج البصري خاصة وأنّ المدرسة البصرية كما سبق وأن ذكرنا، ذات توجّه عقلي، تستعمل المنطق في نظريتها اللغوية وتأويلها، فقد استندوا إلى التأويلات البعيدة في النصوص التي خالفت قواعدهم التي استنبطوها وراحوا يؤوّلون كلّ نصّ خالف قواعدهم»[6]، فبعد أن يستعملوا

---

(1) حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي الاستقراء، التحليل، التفسير، دار الشرق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002، ص 54.

(2) ابراهيم السامرائي: المدارس النحوية أسطورة وواقع، ص 20.

(3) سعيد جاسم الزبيدي: القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1997، ص 77.

(4) عبده الرّاجحي: دروس في المذاهب النحوية، ص 11.

(5) تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 72.

(6) عبد المجيد عيساني: أصول وشواهد الاتجاهات النحوية، ص 16.

الاستقراء والتعليل في اللغة، سيتعلمون التأويل والتقدير، فما يخالف هذه الأسس من قراءة أو شعر «**إنّ منهج المدرسة البصرية قائم على الأخذ بالقياس والتحرّي عن العلّة، واصطناع التعليل وإتباع التأويل البعيد**».[1]

من هنا نستنتج بأنّ لُغويّوا البصرة استعملوا منهج "**السماع والقياس**" كأساس في البحث اللغوي، وإلى جانب الخطوات الأخرى، فاعتمدوا على (الملاحظة والاستقراء وكذلك التحليل والتفسير والتصنيف) في تقعيد القواعد اللغوية، وقد ارتبط منهج البصريين بالمعيارية إلى حدّ ما لقيامه على مبدأ الصواب والخطأ فما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم، إضافة إلى ارتباطه بالمناهج الحديثة خاصّة المنهج الوصفي الذي يوافق في استعمالاته منهج السماع، فقد فسّر السماع بأنّه وصفيٌّ «**وقد أكّد الدّارسون أنّ قواعد المناهج الحديثة مرسخة في تأصيل العلماء القدامى**».[2]

وإشارة منَّا يمكننا القول بأنّ منهج البصريين –السماع والقياس– يقترب أيضا من التفكير العلمي أو المنهج العلمي الذي يقوم على خطوات ثلاث (الاستقراء، التحليل، التفسير)، وهذا ما حاول أن يثبته تمام حسان من خلال قوله «**أن منهج النحاة البصريين يقترب من بنية التفكير العلمي، لذلك عدّ النحو علما، وقد قيل في تعريفه أنّه صناعة علميّة**»[3] ، ثم عاد مرّة أخرى وأكّد أنّ الدراسات اللغوية مرت بمرحلتين «**مرحلة كان البحث اللغوي فيها بحثا وصفيًّا يتبع الاستقراء والملاحظة، ومرحلة تفشت فيها المعيارية**»[4] ، تميّز البحث اللغوي بمستوياته المختلفة عند البصريّين، بمنهج محدّد فسّر معيارية دراستهم، عن طريق تعبيره عن الصواب والخطأ في الكلام العربي، وعبّر أيضا عن علميته من خلال تلك الخطوات التي كان يرتكز عليها.

---

(1) عبد المجيد عيساني: أصول وشواهد الاتجاهات النحوية، ص 40.

(2) رشيد حليم: المنهج اللغوي العربي والبحث اللساني "دراسة مقاربتية"، ص 12.

(3) حسن خمسين الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، الاستقراء، التحليل، التفسير، ص 28.

(4) فاطمة الهاشمي بكوش: الدرس اللساني العربي الحديث "دراسة في النشاط اللساني العربي"، إتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004. ص 94.

5-البحث اللغوي عند البصريين:

يعكس لنا البحث اللغوي بمستوياته، تلك النظرة المنهجية للغوي البصرة في استقراء اللغة المطوقة، ووضع قواعدها بالإضافة إلى الموروث المعرفي الذي تركوه ويمثل "كتاب" سيبويه، ومعجم "العين" للخليل أنموذجا من هذه المستويات التي برعوا فيها «**وإن كان لهم خلط في المستويات اللغوية**»[1]، فقد كانت هذه المستويات (النحوية والصرفية والصوتية) ذات ارتباط ببعضها البعض، إلاّ أنّ ثنايا مؤلفاتهم، دلت على إشارات وضحت لنا تلك المستويات في الدراسات العربية الحديثة، وهذه المستويات هي:

أ- المستوى النحوي (التركيبي):

كان المجال الأول والأساس الذي قامت عليه دراستهم (وضع القواعد التي تعصم اللسان من الخطأ) والمستوى النحوي أو التركيبي في تعريفه «**هو دراسة نظام الجملة ودور كل جزء في هذا البناء، وعلاقة أجزاء الجملة ببعضها بعض، وأثر كل جزء مع العناية بالعلامة الإعرابية**»[2]، هذا التعريف يوافق عنايتهم بالجملة ودلالتها التركيبية من ناحية موقع الألفاظ وقيامهم بوصفها وتحليلها، فقد قاموا بتقسيم الكلمة إلى «**اسم وفعل وحرف...**»[3]، هذا التقسيم كما قيل مرتبط بموقعها في التركيب وله معيار محدّد يبرز دلالته فمثلا «**نجد تعريف ابن السرّاج للاسم وهو ما جاز أن نختبر به عنه، نحو عمر منطلق ورجلٌ في الدار...**» [4]، دلت على معنى في التركيب النحوي إضافة إلى ذلك "الإعراب" الذي يحدّد وظيفة الكلمة في التركيب، فالجملة تتكوّن من (فعل+ فاعل+ مفعول به) كل جزء له وظيفة، محددة هذه الوظيفة النحوية، وقد دلّلوا عليها "**بنظرية العامل**"، «**فالعامل هو الذي يُحْدثُ الإعراب وعلامته من الرفع والنصب والجر والسكون**»[5]، وتعتبر هذه النظرية شاملة لجميع

---

(1) علي أبو المكارم: تقويم الفكر النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2005، ص 92.

(2) محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2001، ص 107.

(3) علي زوين: منهج البحث اللغوي- بين التراث وعلم اللغة الحديث-، ص 74.

(4) المرجع نفسه: ص 75.

(5) شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 63.

أوجه المستوى النحوي، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتاب سيبويه، فقد وضع تركيب الجملة مبينا دلالتها الوظيفية والمعنوية عن طريق الوصف والتحليل، فمثلا: «**يسمّى المجرّد أو بعبارة أصح يصف بنية الكلمة واشتقاقها وحركتها مغردة ومركبة...**» [1].

هذا التصنيف الذي وضعه سيبويه من خلال قوله أنّ المبتدأ «**هو كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلامه...فالمبتدأ الأول والمبني ما بعده فهو مُسْنَدٌ ومُسنَد إليه**»[2] ، وهذه الإشارات شبيهة بما جاء به **أندريه مارتيني** في تعريفه للنحو التركيبي أو تركيب الجملة وأنه يتكون من مسند ومسند إليه بينهما وظيفة (الموضوع والخبر) وهناك أيضا من اعتبر "**الإعراب**" لهو وظيفة في التركيب يقول تمام حسان «**إنّ الإعراب وسيلة لتناول وظيفة في اللغة وأنّ النحويين العرب كانوا في منتهى الصواب حين قالوا إنّ الإعراب فرع المعنى**». [3]

ب–المستوى الصوتي:

حضر المستوى الصوتي إلى جانب المستوى النحوي في البحث اللغوي، وكانت له دراسات وهو بحث في الحروف العربية «**من حيث مخارجها وصفاتها وخصائصها في التأليف كالإدغام ولإبدال وترى ذلك كلّه...عند سيبويه والخليل**»[4]، ونستطيع القول أنّ الرموز التي وصفها أبو الأسود الدؤلي من خلال نقطه للمصحف "**نقاط الإعجام**" مثلث جانبا من جوانب دراسة الحروف وكيفية النطق بها والحروف تمثل "الصوت"

(1) عوض الفوزي: المصطلح النحوي "نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري"، عمادة شؤون المكتبات، الرياض، ط1، 1981، ص 102.
(2) علي زوين: منهج البحث بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 77.
(3) فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني الحديث–دراسة في النشاط اللساني العربي– ، ص 140.
(4) علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة، ص 64.

فقد فرقوا بين الأصوات وميزوا بينها، من خلال حسّهم وملاحظاتهم من أقصى الحلق ووسط الحلق وأدنى الحلق[1]، تلك الملاحظة جعلت العلماء يصفون مخارج الحروف.

قد تأثرت الدراسات الحديثة بدراسة القدامى بالرغم من فقد الوسائل للمعرفة، ذلك أنّ منهجهم جعل دراستهم تتسم بالمعيارية، مبدأ الصواب والخطأ، فقد وضع الخليل معجمه على أساس التركيب الصوتي لمخارج الحروف فمثلاً: «**بدأ بحروف الحلق ومنتهيًّا إلى الحروف الشفوية**»[2]، ولا نستطيع إنكار جهد الخليل، وبعده تلميذه سيبويه في وضع المصطلحات الدرس الصوتي في القديم، هذا الجهد أثبتته الدراسات التي قامت على ضوء ما جاءوا به، وهي شبيهة بمصطلحات "علم الأصوات الحديث"، فمثلا: «**نجد سيبويه وضع جملة مصطلحات تتحدّث فيها عن صفات الحروف: المجهور، المهموس، والشديد والرخو، والمنحرف**».[3]

ج–المستوى الصرفي:

«**يتناول هذا المستوى الكلمة خارج التركيب فيدرس وضع الكلمات من حيث بنائها والتغيّرات التي تطرأ عليها من نقص أو زيادة وأثر ذلك في المعنى**»[4]، الكلمة كانت لها دلالة عند البصريين، وإن ليظهر هذا المستوى كمصطلح معين، إلاّ أنّه قد ظهرت لديهم إشارات ودلائل، تبرز عنايتهم بهذا المستوى –الصرفي– مثلا ما ذكر سيبويه في تقسيمه للكلام «**الكلم اسم وفعل وحرفٌ جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل**».[5]

---

[1] محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث،ص 112.

[2] علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 64.

[3] المرجع نفسه: ص 65.

[4] محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، ص 105.

[5] شوقي ضيف: المدارس النحوية، ص 63.

هذا التقسيم دليل في بحثهم عن "الكلمة"، بمحاذاة المستويات الأخرى «**فقد كان الصرف العربي من أقل العلوم اللغوية حظًّا في الإجادة وحسن النظر، والسبب في ذلك هو طغيان الدراسات النحوية على البحث اللغوي القديم**»[1]، فتناولوا الكلمة من خلال الإفراد والتثنية والجمع وكذلك التعريف والتنكير والتذكير التأنيث.[2]

إنّ عناية البصريين بالنحو، غضّت النظر عن عنايتهم بالمستوى الصرفي، إلاّ أنّه كان جانبا من جوانب دراستهم، فارتبط بالمستويات الأخرى «**فالصّرفُ مع تداخُله بالنّحو يشمل جانبا من علم الأصوات من جهة أن التغيرات الطارئة على صيغة من الصيغ تنقسم إلى ثلاثة أنواعٍ، فيبدوا الصوت أساسًا فيها...فبنية الكلمة أو الصيغة المكونة منها هي الأساس في المستوى الصرفي**».[3]

[1] فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني الحديث، ص 122.

[2] محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، ص 107.

[3] فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني الحديث، ص 120.

II. المدرسة الوظيفية ومنهجها في البحث اللغوي:

يعتبر البحث اللغوي أو اللساني في المدرسة الوظيفية، أثر من الآثار التي أفرزتها النظرية السوسيرية باعتبارهم قد تأثّروا إلى حدّ ما بما جاء به "**دوسوسير**"، إلاّ أنهم اختلفوا من ناحية المنهج فكلّ نظرية ومنهجها في البحث، خاصة وأنهم اعتبروا اللغة ظاهرة اجتماعية لها وظائف تؤديها في الواقع، كما اعتبروها وسيلة لتحليل النّظام اللغوي ووصفه، ومن ثم وشع قواعد عامة لكلّ اللغات.

من خلال هذه المنطلقات حاولنا أن نستخلص منهجهم في قراءة اللغة، وتقعيد القواعد في البحث اللغوي، وإن كان البحث اللغوي في النظريات الحديثة قد طبع بالنظرة العلمية، ومن هذه النظريات الوظيفية ولكنّها اختلفت باختلاف المنطلقات والأهداف التي ترمي إليها من خلال دراسة الظاهرة اللغوية.

هذه الظاهرة اللغوية أفضت منهج بحث تجلّى في دراستها للمستويات اللغوية، معبّرا عن أفكار روادها وعليه فإنه لا يسعنا إلا محاولة حصر لأهم ما جاءت به من خلال انطلاقتها الأولى، وكذلك حصر لأهم مبادئها ومنهج دراستها لمستويات البحث اللغوي.

أ-نشأتها:

تعدّ المدرسة الوظيفية واحدة من المدارس الكلاسيكية لعلم اللغة البنيوي التي قامت في القرن العشرين مستمدّة من النظرية اللغوية المطورة في كتاب "**فيرديناند دي سوسير**" "**دروس في الألسنة العامة**"[1]، فقد اقتفت أثره في إبراز أهمية اللغة ودراستها، دراسة وصفية قائمة على مبادئ وأسس اعتمدت عليها في دراستها وقد برزت بوضوح في الدراسات الفونولوجية، وقد أطلق عليها "المدرسة الفونيمية"، "مدرسة براغ".

قد تأسست هذه المدرسة اللسانية عام (1926) على يد اللغويين الروس أمثال: رومان جاكوبسون (Roman Jakobson) وليكولاي تروبتسكولي (Nikola Troubeskoi)، وكذا اللغويون التشيكوسلوفاكيون من

[1] بريجيتة بارست: مناهج علم اللغة من "هرمان باول حتى ناعوم نشومسكي"، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط1، 2004، ص 155.

مثل: فلام ماتيسيوس (Villm Mathesuie)، ب/ترينكا (B.Trinqua) وج/فشاك (J.vachek)، وكذا أندري مارتيني (Andrée Martine)[1].

بلغت هذه المدرسة ذروتها في الثمانينات وأثرت بوجه خاص في تطور علم اللغة، فقد كان لاهتماماتهم العلمية دورًا كبيرا في نجاح هذه المدرسة، لأنّ دراستهم قامت على أساس وصف اللغة.

وهذا ما أكّدوه في «**المؤتمر الأول لعلماء اللسانيات الذي عقد في لاهاي هولندا عام 1928م دقت عنوان العمال الأساسية لحلقة براغ الذي أكّد على الوجود الوظيفي للغة**»[2]، وقد تبنّى هؤلاء اللغويون المنهج الوصفي في دراستهم، خاصة وأن النقاش كان حول مناهج الوصف اللغوي بدلاً من المنهج المعياري أو التاريخي «**إذ نجد في أعما أولئك اللغويين تحليلات للبنية تقتضي النظام اللغوي بمفهوم دي سوسير النطاق الداخلي لعلم اللغة، وكذلك تناول علاقات اللغة بالواقع غير اللغوي، وبحوث في المقارنة اللغوية أيضا وقدموا...كل مستويات النظام اللغوي الفونولوجي والصرف والنحو وعلم الدلالة**»[3]، وقد غلب عليهم الاهتمام بالصوتيات ووظائف اللغة.

تجلّت مبادئ هذا الاتجاه اللساني بوضوح في الدراسة الفونولوجية وكان هذا التحول طبيعيا لكون الأصوات في تأليفها قائمة على الاختيار والمقابلة مما يسهّل عملية فرز العناصر المتشابهة والمتباينة من حيث السمات الأساسية للنظام الصوتي»[4] ، هذا وقد مثلت هذه المدرسة رائدها أندري مارتيني خير تمثل من خلال تحليلها؛ أي تحليل العناصر اللغوية من أجل التعرف على البنى اللغوية، وليس نسخها كما هي من الواقع أو نقلها.

---

[1] حنيفي بن ناصر لزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، دب، ط2، 2011، ص 50- 51.

[2] عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ص 236- 235.

[3] بريجية بارنست: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى حتّى ناعوم تشومسكي، ص 120.

[4] أحمد حساني: مباحث في اللسانيات "مبحث صوتي، دلالي، تركيبي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1999، ص 110.

بعد فترة من ظهور هذه المدرسة، توقف نشاطها «**سبب الأحداث السياسية، لذلك بدأ بعض اللغويين نشر المجلة المشهورة عالميا إلى يومنا هذا "Slovasloves nost" الكلمة والأدب، وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ لغويوا براغ مرة أخرى تقليد حلقتهم اللغوية تحت عنوان "أعمال لغوية من براغ" سنة 1964**»[1]، حاولت هذه المدرسة في بحثها أن تعالج المستويات اللغوية وفق مبادئ مناسبة أدّت بها إلى استعمالها بمنهج خاص في ذلك عن طريق دراسة الوظائف والتحليل واستخراج الخصائص الموجودة في المستوى اللغوي. [2]

ب– أبرز الأعلامها:

من أجل التعرف على التّيارات الفكرية المختلفة لمدرسة "**براغ**" يجب تسليط الضوء على أشهر الأعلام الذين ساهموا بإنجازات قيّمة جعلت المدرسة تعرف تطورا كبيرا وتوسعا عميقا في مجال اللسانيات الوظيفية ومن أبرز هؤلاء الأعلام اللغويين نذكر:

–فيلام مثيزيوس "Vilem Mathesuis" (1882م– 1945م): واحد من ألمع العلماء ليس في اللسانيات فحسب، بل في اللغة والأدب الانجليزي أيضا، ولد سنة **1882م**، وقد أسّس بمعية معاونيه نادي براغ اللساني[3] كان أستاذ في الانجليزية بجامعة كارولين الأمريكية «**أول من أعلن عن اسم حلقة "براغ" ثم عرفت فيما بعد بمدرسة براغ**».[4]

وقد «**الفت حول فيلام مثيزيوس مجموعة من الباحثين المثقفين فكريا فقاموا بعقد اجتماعات لغوية للبحث المنظم عام 1926 وعرفوا بجماعة براغ**»[5] توفي سنة **1945م**.

---

[1] بريجيه بارتست: مناهيج علم اللغة من هرمان باول حتّى ناعوم تشومسكي، ص 118.

[2] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتّطوّر، ص 137.

[3] المرجع نفسه، ص 139.

[4] خليفة بوجادي: اللسانيات النظرية دروس وتطبيقات، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2012، ص 70.

[5] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 82.

من أهم الإنجازات التي قام بها فيلام مثيزيوس نجد:

- تتمييزه بين النحو والأسلوبية، باستعماله للدراسة الوظيفية.

- تمييزه لمفهومي "الموضوع" والخبر" وتطويره لمنظور الجملة لوظيفي من أهم إسهاماته التي نالت شهرة كبيرة في اللسانيات.[1]

-نيكولاي تروبتسكي "Nécolai Trubetzkoy":

تروبتسكوي من أبرز أقطاب مدرسة "براغ" ولد سنة 1890م، من عائلة نبيلة بروسيا، تشبع منذ صغره بالمبادئ اللبرالية والحريات العقلية والسياسية، درس كل من الأنتوغرافيا والفيلولوجيا الفنلدية الإغريقية والقوقازية وهو لا يتجاوز الثالثة عشر من عمره.

نشر مقالين علميين لأول مرة عندما بلغ الخامسة عشر، اهتم بعلوم أخرى كعلم الاجتماع، فلسفة التاريخ والتاريخ العام للحضارات. [2]

التحق بجامعة موسكو ليواصل دراسته بحيث كان طالبا في قسم اللغة الهندو أوروبية التي كان يديرها والده وأصبح عام 1916م عضوا في هيئة التدريس، بعد ذلك حصل على منصب في الجامعة الإقليمية، (إقليم روستوف)، فرّ إلى اسطنبول عام **1919**، وبعدها إلى فيينا عام **1922م**. [3]

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 139.

[2] المرجع نفسه، ص 141- 142.

[3] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 88.

برع تروبتسكوى في ميدان الصوتيات الوظيفية والفونولوجيا وقام بمؤلفات قيّمة منها مؤلفه الشهير "**مبادئ الفونولوجيا 1939م**" والذي يحتوي على مبادئ الفوونولوجيا ومناهج تحليل السمات القطعية والفوقطعية ودراسات حول الفونولوجيا الإحصائية والفونولوجية التاريخية[1]، توفي سنة **1938م**.

كتاب "**أصول الفونولوجيا**" «**لتروبتسكوي "أهم عمل يرتبط بمنهج هذه المدرسة واتجاهها العام**»[2]

- رومان جاكبسون "Roman Jacobson":

هو عالم لغوي روسي الأصل أمريكي الجنسية [3] ولد بموسكو عام **1896م** من عائلة يهودية روسية بورجوازية، كان مولعا بالمطالعة منذ صغره، وأتقن اللغة الفرنسية، وتعلم الألمانية واللاتينية، كما اهتم بالشعر وقرأ لكبار شعراء الرّوس خاصة.

نظم الشعر وهو في ست الخامسة عشر، ومن هنا تكونت شخصيته المميزة.

زاول دراسته بمعهد اللغات الشرقية ثم بالجامعة المركزية، حيث تخصّص في اللسانيات المقارنة والفيلولوجيا السلافية.

شارك في إنشاء مدرسة "براغ" اللسانية عام **1915م**، بعد اهتمامه بالعلاقة بين الأدب واللغة، ودروس "سويسرا".[4]

وضع مع "تروبتسكوي" و "كارسفنسكي" النظريات اللسانية التي اعتمدتها مدرسة "براغ" عام **م1928**.

---

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 142.

[2] عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ص 237.

[3] التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دس، ص 50.

[4] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 266

رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة **1941م**، ودرس بالمدرسة الحرّة للدراسات العليا التي تأسست بـ "نيويورك" كمواطن للباحثين اللاجئين من أوروبا بين **1943 و 1946م**، فكان له الفضل في تأسيس نادي نيويورك اللساني.

صنفت له مصنفات عدة تتنوع بين الكتب والمقالات، حيث أنّ مايربو عن **370**كتاب ومقالة، وما يربو عن مائة عمل شملت العديد من النصوص والمقدمات والأشعار المختلفة ومن أهم مؤلفاته نجد مبادئ في اللغة مقدمة في تحليل الكلام، محاولات في اللسانيات العامة، وهو آخر وأهم مصنف للمؤلف ويضم إحدى عشرة مقالة، ألفت بعد عام **1950م**، عند إقامته بأمريكا مبادئ الفونولوجيا التاريخية.[1]

-أندري مارتيني "Andri Marinet":

عالم لساني فرنسي ولد عام 1908م بمقاطعة السفر بفرنسا[2]، اشتغل بالتدريس بعد أن أتمّ دراساته العليا، وفي نفس الوقت درس اللغة الانجليزية ونال شهادة التبرير، يعد من أبرز المشاركين في مدرسة "براغ" كما أنّه أحد أعلام الفونولوجيا.

كانت له صلة منهجية وشخصية برؤساء فونولوجيا "**براغ**" و "**تروتبسكوى**" خاصة، كما ربط علاقات صداقة مع "**لويس هيلمسيلف**" بحكم إقامته في الدانمرك لفترة من الزمن وهذا جعله يتابع تطورات مذهب أنفلوسيماتيك كما أطلع على علم لغة "**سابير**" و"**بلومفليد**" وبالتالي فقد كان "**مارتيني**" على صلة بالمدارس الثلاث (**براغ، كوبن هاغن الأمريكية**) وبمختلف أعمالهم وإبداعاتهم.

---

(1) أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 146- 174.

(2) التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 10.

حضر شهادة الأستاذية في الانجليزية في جامعة السربون، أين تابع فيها محاضرات "فندريس" حول اللغة الجرمانية.[1]

«**ألف مارتني ما يربو عن مائتين وسبعين مؤلفا يتعلق العديد منها باللسانيات العامة الوصفية والفونولوجية الوظيفية، والفونولوجيا التاريخية**»[2]، نذكر منها:

عناصر اللسانيات العامة تعرض فيه للعديد من العناصر، وظيفة اللغة، الملائمة اللغوية والاقتصاد اللغوي وظاهرة التقطيع المزدوج، أصدره سنة **1960م**، وفي سنة **1965م** ألف كتاب اللسانيات التزامنية، الاقتصاد في التغيرات الصوتية ألفه سنة **1955م**، وكتاب بعنوان وصف صوتي للكلام الفرنسي سنة **1945م**، كما كانت له مؤلفات أخرى منها، التغيرات الصوتية **1956م**، اللسانيات الوظيفية، الفونولوجيا كنوع من الصوتيات الوظيفية **1949م**، نظرة وظيفية للغة سنة **1962م**.[3]

2-المبادئ المدرسة الوظيفية:

اختلفت المدرسة الوظيفية في مبادئها عن الاتجاهات اللسانية التي أتت بعدها، إذ تعد من اهم الاتجاهات البنيوية الوظيفية، بحيث اهتمت بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال سيستخدمها الأفراد للتواصل، مركزة على دراسة نظام اللغة الكلّي بمستوياته المختلفة (النحوية، الصوتية، الدلالية، الصرفية) دراسة وظيفية محضة، ومن أهم المبادئ التي قامت عليها نجد:

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 151- 152.

[2] المرجع نفسه: ص 152.

[3] نعمان بوقرة: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 109- 110.

«**اللغة حقيقة واقعية، ظاهرة طبيعية فعلية، نموذجها مشروط بعوامل خارجية (غير لغوية)، (المحيط الاجتماعي، السامعون، الموضوع) ومنه يمكن التمييز بين لغة الأدب ولغة الثقافة، ولغة المجالات العملية والصحفية**»[1]

– التركيز على دراسة الوظيفة الحقيقية للغة، والتي تتمثل في الاتصال (كيفياته ومناسباته ولمن يوجه) لأن اللغة نظام للاتصال والتعبير من أجل الرقي والتفاهم المشترك.

– عدم تطابق اللغة المنطوقة مع المكتوبة، فلكل منهما خصائصها وجب على اللغوي فحص العلاقة بينهما ودراستهما دراسة علمية.

– إحاطة البحث اللساني بالعلاقة بين البنية اللسانية والأفكار والعواطف التي توصلها هذه البنية، باعتبارها أنّ اللغة كثيرة الصلة بالظواهر العقلية والنفسية للشخصية الإنسانية.

– المنهج المقارن في علم اللغة مشروط ومطلوب.

– عدم فصل الظواهر المورفولوجية عن الظواهر الفونولوجية، فعادة ما ترتبط التقابلات الفونيمية بالتغيرات الصرفية. [2]

– ترى المدرسة الوظيفية: «**أن البنية النحوية والدلالية والفونولوجية للغات تحدد بالوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع**»[3] باعتبار اللغة نظام وظيفي عندها، يهدف لتحقيق التواصل.

[1] خليفة بوجادي: اللسانيات "دروس وتطبيقات"، ص 72.

[2] نعمان بوقرة: اللسانيات "اتجاهاتها وقضاياها الراهنة"، ص 86- 87.

[3] جرهارد هلبش: تاريخ علم اللغة الحديث، ص 93.

3-منهج الوظيفيين:

تبلورت مظاهر المنهج الوظيفي فيما جاءت به المدرسة من أفكار ودراسات، كان لها أثر في تطبيقاتها اللغوية كنظام عامّ، خاصة وأنها تبحث في «**العلاقات بين الأنظمة اللغوية؛ أي المقارنة اللغوية والتنميط**»[1] فكانت غايتها الصوتيات الوظيفية فاعتمدت على المنهج التحليلي وصولا إلى المعنى على المستوى الصوتي والكلمة والجملة...بحثا عن وظيفة كل عنصر في المدوّنة، فالوظيفة هي المحدد للمعنى في اللغات على حدّ اعتبارهم، وهذه الوظيفة جلية على مستوى كلّ اللغات[2].

نستطيع القول أنّه: من خلال هذه الأفكار التي انطلقت منها هذه المدرسة لدراسة مختلف اللغات كان لها نفس المنهج في التحليل والوصف، فنتجت الوظيفة اللغوية انطلاقا من :

أ- **تحديد اللغة:**

قد اعتمد الوظيفيون في دراستهم اللسانية، دراسة اللغة من جانبها الوظيفي باعتبارها أداة للتواصل بين أفراد المجتمعات «**فاللغة تحتوي على جانب إبلاغي تعبيري له دور في التواصل ينتمي إلى اللغة وكلّ ما ليس له علاقة بهذا الدور فهو خارج عنها**»[3]، فاللغة إذا وافقت مبدئهم في التحديد أخذوا بها، وإذا خالفته لم يعتمدوا عليها كمدونة في الدراسة اللغوية.

ب- **تحليل اللغة ووصفها:**

وهذا التحليل يكون بتقطيع الوحدات اللغوية إلى وحدات أصغر، ومن هنا تبرز وظيفة كلّ لغة، فشأنهم في إبراز المعنى والتركيب، ومن خلال هذا التقطيع «**تقتضي من المتكلم أن يختار من اللغة ما به يعبّر ويبلغ في أداء**

---

(1) بريجيتة بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم نشومسكي، ص 130.

(2) التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي، الجزائر، د.ط، د.س، ص11.

(3) عبد القادر المهيري: نظرات في التراث العربي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1993، ص 232.

الرسالة (message)...» [1]، وهذا التحليل يكون عن طريق التقطيع والاستبدال(Segmentation/Commutation) بإبدال الوحدات الصوتية بأخرى ومعرفة معناها من خلال استقامة بتغير تلك الوحدات، فمثلا: (ذَهَبَ به، كتب به، ذهب بكَ)، تغيّرت الوحدات الصوتية وبقي التركيب...» [2] وإن تغيرت وحدة صوتية بأخرى، ويبقى التركيب كما هو دون أن يختل، ذلك لأنه يحقق التواصل الاجتماعي –يؤدي وظيفة حسب رأيهم-

ج- المنهج الآني (الوصفي):

وقد برز هذا المنهج في تحليل الظواهر اللغوية وفي بعض مقالات علمائها، ومن مبدأ أنها فرّقت بين المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، فاتبعت التحليل في مستويات اللغة خاصة الدراسة الصوتية أو الفونولوجية إذ ترى «**أنّها الوسيلة الناجمة التي تمكّننا من الإحاطة بجوانب اللغة وبخصائصها، تكمن في التحليل...الوصفي لظواهر اللغة...لأن التحليل الوصفي وحده الذي يمثّل مادّة كاملة تناسب الواقع اللغوي**»[3]، فهي تنطلق من الواقع بدليل أنّ الوصف ينطلق من الواقع كملاحظة أوّليّة واللغة ظاهرة لغوية واقعية – الكلام بين مختلف الأفراد- لتحليل بنيتها الدّاخلية، وتعميم كلّ تلك القواعد على اللغات كقاعدة نهائية.

هذه الطريقة ظهرت عند علماء اللغة العربية قديما، من خلال وصفهم للظاهرة اللغوية بعد ملاحظتها واستقرائها لوضع القاعدة التي تعبّر عنها، كانت انطلاقتهم من الواقع كظاهرة مسموعة – اللغة-

[1] عبد القادر المهيري: نظرات في التراث العربي ، ص 234.

[2] التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومنهجها في البحث، ص 11.

[3] السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، دار السلام الحديثة، القاهرة، ط1، 2008، ص 74.

د- المنهج المقارن: «**إذا استعملنا القضايا المتعلقة بالجانب التكويني للغات ومدى الصلات التي ترتبط ببعضها البعض**»[1]، كانوا يقارنون بين الوحدات الصوتية -الفونيمات- من لغة إلى أخرى ومعرفة الفوارق بينهن وصولا إلى المبدأ الذي انطلقوا منه.

4- البحث اللغوي عند الوظيفيتين:

تنطلق هذه النظرية من مبدأ عام تعتبره أساس دراستها للغة -اللغة ذات جانب وظيفي إبلاغي- وبغض النظر عمّا سطّرته من خلال ما جاءت به من مقولات عبّرت عن منهجها والبحث اللغوي عن طريق مستويات اللغة، هذه المستويات التي سنحاول إجمالها وإجمال مقولاتهم حولها:

أ- **المستوى الصوتي:**

لقي المستوى الصوتي عناية كبرى عند الوظيفيين خاصّة **أندري مارتيني، وماتيسيوس،** حتى ارتبط اسمها بهذا المجال "**المدرسة الفونيمية**"، فاتجهت صوب تحليل الصوت ووصف كلّ جزئياته وتصنيفها حسب وظائفها «**اعتبر تروبتسكوي الصوت أمرٌ مجرّد من ناجيّة وأمر واقعي اجتماعي من ناحيّة أخرى**»[2]، لذا فالحديث عنه -الصوت- ينبغي مقابلته بغيره ويفضي في نهاية الأمر إلى إبراز ما بينه وبين غيره من فروق»[3]، هذا التقابل يكون بين الفونيمات داخل التركيب، ولهذا دعوا إلى تقطيع الفونيم إلى أصغر الوحدات الصوتية من خلال ما جاء به **أندري مارتيني "التقطيع المزدوج"** فمثلا: في المدونة التالية نستنتج بأنّ (قاد عادَ، سادَ) عند قيامنا بتقطيعها إلى أصغر الوحدات فإنّه نستطيع معرفة خصائص كلّ وحدة من حيث الصفة والمخرج، فنجد:

/ق/ لهوي + مجهور + شديد + مستعملي.

/ع/ حلقي + مجهور + بيني.

---

[1] السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 74.

[2] عبد القادر لمهيري: نظرات في التراث اللغوي العربي، ص 235.

[3] المرجع نفسه: ص 235.

/س/ **أسناني + مهموس + صغيري**[1]، هذه المقولات أو الإشارات نجدها عند العرب في أبحاثهم اللغوية، فهذا الخليل قد رتب معجمه ترتيبا صوتيًّا على أساس مخارج الحروف (الأصوات)، وكذلك سيبويه في مؤلفاته "الكتاب" فقد عالج بعض الظواهر الصوتية باعتماد هذا التقسيم بين الحروف أو التحليل الصوتي والوصف الذي يكون في المدونة من خلال الفروق الصوتية ووصف النظام الصوتي للحروف، طريقة النطق...

ب- **المستوى التركيبي (الجملة)**:

إنّ الأصوات تتآلف فيما بينها، فيما يسمّى البنية التركيبية للجملة، فاللفاظم هي التي تحدّد المستوى التركيبي حسب وظائفها، وقد أطلقوا عليها مصطلح "اللفاظم"، وقد قسّمتها مارتيني إلى أقسام نذكر منها:

- **اللفاظم الحرّة** مثل: Riér في (hir.il ya fête au village)

_ **اللفاظم الوظيفية مثل "a"** وهي تستعمل لتعيين وظيفة لفظ آخر.

- **اللفاظم المرتبطة:** وهي التي ترتبط فيما بينها لتحديد علاقتها ببقيّة التركيب "au village" يمثل تركيبا حرًّا وهو يمثل الفعل والفاعل وهما مرتبطان ببعضهما البعض كلّ يحدّد وظيفة الآخر «فالموضوع أوّلا يليه الخبر، وفي حالة التوكيد على الخبر يلجا التقديم أو التأخير»[2]، نفس الرأي وجد في التراكيب النحوية عند سيبويه وغيره من معاصريه فالجملة تتكون من "فعل وفاعل" أو مسند ومسند إليه وهذا ما يمثل العلاقة بين عناصر التركيب.

نفس الوجهة كانت لدى **مارتيني** فاعتبر أن المسند في حاجة إلى المسند إليه ليخبر عنه ويكمل الدلالة الوظيفية للتركيب، فكل جزء يقتضي وجود الجزء الآخر، وهذا أيضًا ما عبّر عنه **رومان جاكوسبون**، فقد

(1) شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2004، ص 17- 18.
(2) السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 77- 78.

«عُني...بالفصائل المورفولوجية للفعل والاسم، ودرسَ المورفيمات النحوية وهذا ما أشار إليه في مقالته حول بنية الفعل الروسي».[1]

ج- المستوى الصّرفي (الكلمة):

«هي دراسة تدور حول المورفيم "Morphéme"الوحدة المميزة الصغرى، في التحليل القواعدي، وله أهميته خاصّة في الدراسة الصرفية ويعدّ بديلًا علميًّا لمفهوم الكلمة»[2]، هذا المصطلح -المورفيم- وجد في علم اللسان ويمثل «**أصغر وحدة لغوية ذات معنى في لغة ما وقد وصل علماء اللغة المحدثون إلى هذا التعريف خلال بحثهم في مفهوم الكلمة».**[3]

ونفس الطريقة تستعمل في تحليل المورفيم، وذلك عن طريق تقطيعه، فكل قطعة لها دلالة في اللسانيات و«قد قسّمه الوظيفيون إلى قسمين:

- **مورفيم حرّ(Frél morphèmes)** وهو الذي يمكن استعماله كوحدة مستقلّة في اللغة مثل: رجل، نام، إلى فوق...إلخ.

- **مورفيم مقيد: (Bound morphéme)** وهو الذي لا يمكن استخدامه منفردا بل يجب أن يتصل بمورفيم حر أو مقيد مثله مثل: الألف والنون للدلالة على معنى المثنّى كما في كلمة مدرستان...» [4]، تشترك هذه المورفيمات في تبديل المعنى وتعبيره.

---

(1) بريجيته بارست: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتّى ناعوم تشومسكي، ص 151.

(2) السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 76.

(3) التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 16.

(4) المرجع نفسه، ص 16.

خلاصة:

ومن خلال ما جئنا به نستنتج: بأن الوظيفيون اعتمدوا في دراستهم لمستويات اللغة على تحديد وظيفتها فالوظيفة اللغوية هي المحدّد الأول لها في كلّ اللغات، ومن هنا نهجوا طريق البحث عن ظواهر اللغة لوضع قواعد تتصف بالشمولية، فغايتها الأولى كانت اجتماعية محضة، لتحقيق التواصل في كلّ لغات العالم، من خلال تعميمها كقاعدة وانطلاقا من تحديدهم للمدونة الموجودة في الواقع اللغوي، وتحليلها تحليلاً وصفيًّا ينطبق مع الواقع.

الفصل الثالث: دراسة مقارنة بين منهج البحث اللغوي في المدرسة البصرية والمدرسة الوظيفية.

1/ ملامح التوافق والإختلاف.

أ- المنهج بين البصريين والوظيفيين.

ب- منهج البحث اللغوي.

المستوى النحوي.

المستوى الصوتي.

المستوى الصرفي

شكّل منهج البحث اللغوي بين البصريين والوظيفيين حلقة اتصال في بعض النقاط، كما شكّل نقاط انفصال في البعض الأخرى، وقد تجلّت هذه الملامح المنهجية من خلال طريقة التنظير لمستويات البحث في الظاهرة اللغويّة، خاصّة على المستويات الثلاث (المستوى النحوي، والصوتي والصرفي)، وهذا ما استدعى منا عرض مقارنة بينهما.

إنّ هذه المقارنة بين منهج البحث اللغوي في المدرستين –البصرية والوظيفية– تتطلب جانبًا تطبيقيا للكشف عن مسار المنهج في دراسة تلك المستويات، وبالرّغم من اختلاف الأهداف وكذا المرجعيات أو الخلفيات، فإنّ البحث اللغوي في المدرسة البصرية يبحث عن جوانب الصواب والخطأ، في الاستعمال اللغوي.

أمّا البحث اللغوي في المدرسة البصرية فهو البحث عن الجانب الوظيفي للغة لأنّها تمثل في نظرهم ظاهرة اجتماعية تحقق التواصل بن مختلف اللغات الحيّة.

ومنه فمنهج البحث اللغوي في كلتا النظريتين في مجمله لا يكاد يخرج عن طريقة دراسة تلك المستويات التي بحث فيها اللغويون واجتهدوا في تدوينها في مؤلفات عبّرت عن منهجهم، مثلا مؤلف **"الكتاب" لسيبويه** وكذلك مؤلف مبادئ في اللسانيات العامّة **"لأندري مارتيني"**، هذان المؤلفان أقرب ما يعبّر عن منهج كل مدرسة، من حيث معالجة بعض قضايا اللغة وبالخصوص طريقتهم في تناول الظاهرة اللغوية ودراستها على ضوء مناهجهم.

1- ملامح التوافق والاختلاف.

أ-المنهج بين البصريين والوظيفيين.

لقد شغل منهج البحث اللغوي حيّزا كبيرا لدى الباحثين منذ القديم، وزاد الاهتمام به في العصر الحديث خاصّة مع ظهور المناهج الحديثة التي ظهرت بظهور مدارس لغوية اختلفت في منهج البحث، فاتجهت كلّ مدرسة منحى تعبّر من خلاله عن أفكارها وأهدافها، فارتبط المنهج بتلك الأفكار والأهداف في المدرسة البصرية والمدرسة الوظيفية.

بدأ البحث اللغوي عند البصريّين في تلك الحدود الجغرافية؛ أي البيئة العربية التي كانوا يتواصلون فيها فاعتمدوا السماع كمنهج أساسي في التصدي لظاهرة اللحن وانتشارها في أوساط العرب، هادفين من وراء هذه الانطلاقة إلى الحفاظ على القرآن الكريم من التحريف، وكذا الحفاظ على فصاحة اللسان العربي.

فكانت الرّحلات العلمية التي قام بها علماء البصرة رهينة الاتصال بالواقع اللغوي مباشرة، عن طريق مشافهة الأعراب وأخذ اللغة عنهم سماعًا، فمثلت هذه المرحلة، مرحلة انتقاء قام بها اللغويّون البصريون، من خلال رسمهم للحدود الجغرافية التي لا يمكن تخطّيها في نظريتهم، فقد حدّدوا مادة الاحتجاج وفق ما توصّلوا إليه من مصادر الدراسة (القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، كلام العرب، الشعر)، هذه المصادر كانت مادّتهم في الاستشهاد بما استقرأوه من قواعد لغوية.

وقد مثّل التحديد المكاني اللغة الفصيحة التي يأخذون منها الظاهرة اللغوية رواية، وقد شمل هذا التحديد قبائل «**قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطّائيّين...**»[1]، وفي مقابل ذلك استبعدوا قبائل أخرى لمجاورتها قبائل غير العرب، وذلك لفساد ألسنتهم من ذلك «**فساد لغة همدان وحمير والأزد وخولان من عرب**

[1] علي مزهر الياسري: الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط1، 2003، ص 194- 195.

اليمن لمجاورتهم القبط بمصر والنصارى بالشام...» [1]، معتمدين في ذلك على المسموع (السماع) الموافق لكلام العرب كمعيار للصواب والخطأ في اللغة.

وقد كان لهذه الرواية (الحدود الجغرافية)، جانب آخر هو التحديد الزماني، فقد حددوا الفترة الزمنية التي ينتهي فيها البحث اللغوي، إذ أوقفوا الاستشهاد باللغة في منتصف القرن الثاني هجري بالنسبة لسكان الحضر والقرن الرّابع هجري بالنسبة لسكان البوادي، فأصبحت هذه الحدود فيما بعد –المكانية والزمانية– أُنموذجا عبروا من خلاله عما يجب أن يقال وما لا يجب أن يُقال، فكانت سلطة اللسان العربي الفصيح أقوى سلطة في منهج وضع القواعد اللغوية، التي استخلصت فيما بعد في كتب وأقوال اللغويين، ولذلك وجب الالتزام بتلك الحدود وأي خروج عنها لا يعتدّ به، لأنّه يعتبر خروج عن معيار الصواب والخطأ التي انبنت عليه القواعد البصرية.

هذه النظرة جعلت دراستهم تتسم بالمعيارية إلى حدّ ما لالتصاقها بأهداف دينية محضة، كما سبق ذكرها خاصّة وأنّهم اعتبروا اللغة حكرًا على قبائل دون أخرى فالعرب يتكلّمون اللغة بالسليقة، وقد مثلت هذه السليقة الاستعمال الطبيعي للغة (الفطري) في صورته المنطوقة ضمن قواعد ثابتة لا تتغيّر بتغيّر الزمان والمكان لخلود النص القرآني، ولعل هذا ما يفسّر تلك الجهود التي بذلوها في سبيل خدمة الدّين من خلال دراسة نظامها (النحوي الصرفي، الصوتي) وأيضا محاولة كشف القواعد التي يقوم عليها الكلام العربي.

أمّا منهج الوظيفيين في الدراسات اللغوية الحديثة، فقد خالف منهج البصريين، وإن كانت الانطلاقة الأولى نفسها في تحديد الموضوع –اللغة المنطوقة–، لاعتبارهم أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تحقق وظيفة التواصل والإبلاغ دون تحديد منهم للمكان والزمان كما فعل البصريون، وهذا التحديد الوظيفي هو الأساس الذّي قامت عليه النظرية الوظيفية، إذ يرى **أندري مارتيني** إلى جانب الوظيفيين الآخرين أنها النموذج الصحيح في تراكيب اللغات الحيّة.

[1] حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، الاستقراء، التحليل التفسير، ص 20.

لقد كانت البداية من الواقع اللغوي، واتخاذهم المعنى الوظيفي مقياسا لتحليل النظام اللغوي ووصفه وصفًا علميًّا دقيقا، فلم يأخذوا بعين الاعتبار ذلك التقسيم وإنما أخذوا من كلّ اللغات الحيّة (الفرنسية، الانجليزية التشيكوسلوفاكيّة)، وهذه الصورة واضحة من خلال الأمثلة اللغوية في كتاب **أندري مارتيني** "**مبادئ في اللسانيات العامّة**"، إذ حلّلوا قواعدها النحوية والصرفية والصوتية، وصولا منهم إلى القاعدة العامّة.

هذا المنحى الذّي سطّرته النظرية الوظيفية أظهر اهتمامهم بجانب المعنى دون الاهتمام بالشّكل، وهذه الغاية مخالفة لغاية المدرسة البصرية، التي تهدف إلى الحفاظ على فطرة اللّسان العربي من الفساد، فغايتهم غاية اجتماعية، وهو دراسة الوظائف التي تحقّقها اللغة المدروسة في المجتمع، عكس الاتجاه الذي اختاره البصريون وهو الاهتمام "**بالمبنى**" دون "**المعنى**"، فقد ركّزا على الظاهرة اللغوية المنقولة، فلا تأخذ إلاّ من الرّواة التفات واستقراء الجزئيات لاستنباط القاعدة الكليّة.

وهذا ما يفسّر لنا تميّز منهجهم بالفطرة والبساطة في دراسة كل مستويات البحث اللغوي، وقد عبّر "**دي بور**" عن منهج البصريين من خلال نظرته إلى المستوى النحوي قائلا: «**أنّ النحو أثر رائع من آثار العقل العربي لما له من دقة في الملاحظة ومن نشاط في جمع ما تفرّق، حق للعرب أن يفخروا به فهو – نحوُ الفطرة**»[1].

ويمكن القول: أن هذا دليل على إثبات تلك المعيارية التي ارتبطت بالدراسات اللغوية، وبإصدارهم لأحكام لغوية فطرية، تنبع من ذلك الوصف الفطري، لما يلاحظونه، ما يفسّر أيضا تلك التصنيفات الأوليّة التي جمعت دون ترتيب، ولكن يمكننا القول أنّه وبالرغم من تلك الملاحظات الفطرية والواقعية إلاّ أنّ الفكر البصري يتسم إلى حدّ ما بالفطرة العلمية أو بالتفكير العلمي، والدليل على ذلك ملامح الجمع والتصنيف التي لم تكن دفعة واحدة

[1] عوض الفوزي: المصطلح النحوي، ص 97.

وإنّما مرّت بمراحل عدّة إلى أن وصل مرحلة التصنيف المنظم وفق موضوعات معيّنة، وهذا دليل على أنّ نشاطهم العلمي كان قائما على الملاحظة والوصف.

كما وُجدت إشارات عديدة تشير إلى مصطلاحات لغوية وصفيّة، من ذلك ما وُجد في مُؤلف سيبويه "**الكتاب**" نحو قولِه «**هذا باب من الفعل يستعمل في الاسم ثم يبدل مكان ذلك الاسم، اسم آخر يفعل فيه كما فعل فه عمل الأوّل**»[1]، لقد رسم لنا سيبويه بعدًا فكريًّا ووصفيًا للقواعد النحوية من خلال استقرائه لكلام العرب المطرد والفصيح ثمّ قياس ما لم يُنْقل على ما نُقِل.

والقارئ لكتاب سيبويه يلاحظ ذلك الوصف في المنهج البصري، وهذا ما ذهب إليه أيضا تمام حسان الذّي أظهر اهتماما كبيرا بالمنهج الوصفي، إذ وصف الدراسات العربية بالوصفية «**استنادا إلى ما يصدر عن القدماء لأنه يرى دراسة القدماء اتسمّت سمة الاتّجاه إلى المبنى أساسًا**»[2]؛ عبّر تمام حسان عن هذه الفكرة من خلال تلك الانطلاقة وهي استعمالهم للسماع كمنهج في دراستهم.

أمّا من ناحية الوظيفتين نلاحظ ذلك الوصف العلمي للغة من خلال التحليل وكذلك النظرة العلمية إلى اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية تحقق وظيفة في الواقع، عن طريق التقطيع المزدوج للوصول إلى أصغر الوحدات اللغوية في سياق الكلام، فلم يعتمد اللغويون الوظيفيون على وصف تلك الظّاهرة وإنّما تحليلها ووصفها لأنّها خاضعة للتجريب، لمعرفة مدى القرابة بينهما وبين اللغات الأخرى عن طريق المقارنة بينهما، فمبدأهم مرتبط بمدى تحقيق تلك الوظيفة بعيدا عن الصواب والخطأ الذي وجد عند البصريين، نظرا لعنايتهم بالمبدأ الوظيفي للغة في بعدها الدلالي (المعنى) بدليل اعتبارهم أنّ كلّ لغة لا تحقق وظيفة فيه خارجة عن دائرة القواعد اللغوية وهذه الاعتبارات اختلفت لاختلاف الأهداف والعقائد الفكرية بين البصريين والوظيفيين.

---

[1] سيبويه: أبي بشير عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1، ص 150.

[2] حليمة أحمد عمايرة: الاتجاهات النحوية لدى القدماء، ص 45.

وإلى جانب منهج "السماع" عند البصريين والمنهج الوصفي عند الوظيفيين وجد منهج القياس الذي مثل تلك النظرة المنطقية وتلك الأفكار العلمية للقواعد اللغوية العربية، لأنّ اللغويين فسّروا تلك الظواهر تفسيرا فطريا نظرا لسلطة الدين –القرآن الكريم– وكذلك سلطة المجتمع العربي (ما قيس على كلامهم فهو من كلامهم) وبالتالي كان تفسيرهم ذاتيا، وإن مثّل الاستقراء تلك الدقة التي وصف بها البحث اللغوي العربي، خاصة على المستوى النحوي، كما مثل بعض مظاهر التفكير العلمي من خلال هذه الخطوات (الاستقراء، التحليل، التفسير)، كما مثلت أيضا دقّة التحرّي والثقة في النّقل إلى جانب الموضوعية في الدّراسات التي تُعتبر من أساسيات المنهج العلمي، ومن الواضح أنّ درجة الدقة قد تحققت في منهجهم.

هذه الدّقة نجدها عند سيبويه في تقعيده للقاعدة النحوية من خلال تصنيفه للمصطلحات النحوية «**هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية...هذا بابُ المسند والمسند إليه...** »[1] اتجّه نحو الوصف قائلا: «**وهما مَا لا يُغني واحدٌ منهما عن الآخر**»[2]، كل هذه المظاهر التي وُجدت في مؤلف الكتاب دليل على منهج الوصف الذي كان يتخلّل الدراسات البصرية.

هذه المحاولات وإن انطلقت من منطلقات معيارية، إلاّ أنها تعد محاولة لوضع قواعد لغوية تحمل بعض المظاهر العلمية إلى جانب منهج السماع والقياس الذي ارتكزت عليه الدراسات البصرية في كلّ مستوياتها اللغوية والتنظير لها، في حين آخر كانت منطلقات النظرية اللسانية الوظيفية انطلاقة علمية وصفية، لأنّها لم تقف ذلك الموقف من الظاهرة اللغوية –الصواب والخطأ– وإن كانت الدراسات الحديثة أثبتت مدى علمية القواعد التي أقامها البصريون في حدود زمانية ومكانية، بل أنها وقفت موقفا موضوعيا يحاول أن يكشف تلك العناصر التي تحمل في ذاتها وظيفة تؤدّي في الواقع فكانت رغبتها دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها وفق منهج وصفي علمي.

---

[1] سيبويه: الكتاب، ج1، ص 13.

[2] المصدر نفسه، ص 14.

إنّ اعتماد البصريين على القياس كمنهج، يدل على المعيار الاجتماعي؛إذ يقيسون عليه كلام العرب: فمثلا: ما قيس على كلامهم كان صحيحا ومطابقا للقواعد وإذا خالف صحّة المنقول من السّماع أو القياس فهو خاطئ، وبناءًا على تلك النماذج المسموعة (السماع) بنت المدرسة البصرية قواعدها اللغوية على اختلاف مستوياتها.

من جهة أخرى نجد الوظيفيين اعتمدوا على التقطيع والاستبدال كمنهجين في تحليل الوحدات اللغوية من المنظور الاجتماعي الذي تحققه وظيفيا، والاستبدال قد يكون بتغيير وحدات لغوية بوحدات لغوية أخرى من لغات أخرى، هذا الاستبدال يعكس تلك الفوارق الوظيفية والدلالية، هذا التقابل وإن وجد عند البصريين بين مختلف القبائل التي لا تخرج عن دائرة الاحتجاج، إلاّ أنّه تختلف عنها؛ لأنّ المنطلق يختلف وهو وضع قواعد لغويّة تحدّد معيار الصواب في اللغة العربية حفاظا على النص القرآني،لأن نشأة الدراسات العربية كانت مرتبطة به فهي تقابل المسموع من كلام العرب لمعرفة مدى المطابقة أو المخالفة.

ومن هنا نستطيع القول: أنّ هذه القواعد تجلت في نظرية العامل (الإعراب) الذي يؤكّد مدى اهتمامهم بالشكل دون المعنى، على عكس الوظيفيين الذين ركّزوا اهتمامهم على الجانب الشكلي والدلالي. [1]

إنّ اعتماد البصريين على استقراء اللغة المنقولة هو مقارنتها لتلك العيّنات ثم تحليلها وتفسيرها، هذه الخطوات التي اتبعها البصريون في منهجهم تمثل بعض الملامح العلمية التي وجدت في تفكير اللغويين الوظيفيين وهذه الخطوات عبّرت عن ذلك التحليل الذي كان ينبع من ذواتهم نبعًا بسيطًا وذاتيا فطريًّا، إذ كانوا يعودون إلى الاستعمال الطبيعي للغتهم.

ومن خلال هذه المقارنة بين منهج البصريين، ومنهج الوظيفيين نستنتج أنّ كلتا المدرستين انطلقت من الواقع اللغوي، باعتباره الأساس الذي استخلصوا منه الظاهرة اللغوية، فحدّوا الهدف من منهج بحثهم، الذي

[1] حسن خميس الملخ: التفكير العملي في النحو العربي الاستقراء، التحليل، التفسير، ص 72.

اختلف باختلاف المنطلقات الفكرية والعلمية التي كانت جوهر الدراسة اللغوية، وكذلك اختلاف البيئة المكانية والمراحل الزمنية التي مرّ بها البحث اللغوي، وقد توصّلنا إلى:

أنّ المدرسة البصرية كان هدفها وضع قواعد لغوية للحفاظ على اللغة العربية سليمة من اللحن، وكذا الحفاظ على النّص القرآني، ومن هنا برزت تلك المعيارية التي ارتبطت بمنهج البصريين؛ لأنّ منهجهم قام على مبدأ الصواب والخطأ، وركّز على الواقع اللغوي كمعيار لقياس الكلام المروي.

ارتبطت نظرية المنهج البصري أيضا بالسماع ووضع حدود جغرافية وزمانية للغة المرويّة، فكان منهجهم وصفي بالدّرجة الأولى من خلال ذلك الوصف والتحليل الذي قام به اللّغويون لاستقراء الظاهرة اللغوية والتقعيد لها، هذا المنهج شهدت له الدّراسات الحديثة، فأيدت آرائهم النظرية وأخذت بها، وإن طبع منهجهم بتلك النظرة البسيطة والذوق الفطري، إلاّ أنّه يتسم ببعض الملامح العلميّة من جهة أخرى، فقد ظهرت العديد من الدراسات حاولت إثبات علمية المنهج البصري.

أمّا المدرسة الوظيفية فكان هدفها من ذلك المنهج الذي اتبعته هو دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية تحقق وظائف الاتصال والتبليغ بين مختلف الأفراد بداية من تحديد تلك اللّغة في الواقع الاجتماعي، واتبعت المنهج الوصفي العلمي الذي اتّبعه دو سوسير في دراسته، فقامت بتحليل الظواهر اللغوية ووصفها، وكذلك المقارنة بين اللغات، وصولا منها إلى الوظيفة التي تحقّقها.

ربطت هذه المدرسة منهجها بمعيار الوظيفة المحققة بين الأفراد في المجتمع، في حين ربطت المدرسة البصرية منهجها بمعيار الصواب والخطأ في بناء القاعدة اللغويّة.

ومنه فالوصف رهين المدرسين في بحثهما اللغوي، وإن اختلفت جزئياته إلاّ أنّ كل الملامح التي برزت في المدرستين تشير إلى ذلك، فقد أثبت بعض الباحثين أنّ الدراسات اللغوية قامت على أساس المنهج الوصفي وإن

لم يظهر كمنهج قائم بذاته، إلاّ أنه قد ظهر على ضوء المناهج الحديثة، في حين آخر نجد أنّ الدراسة الوظيفية قامت على أساس المنهج الوصفي العلمي القائم بذاته.

ب- منهج البحث اللغوي بين البصريين والوظيفيين:

تناولت كل من "المدرسة البصرية والمدرسة الوظيفية" البحث في الظّاهرة اللغوية، فاختلف البحث فيهما باختلاف المنهج، هذا الخير الذي كان منطلقا لمختلف الدراسات القديمة منها والحديثة، عبّر عن أفكارهم وتصوّراتهم في وضع قواعد اللغة. ولذلك ارتأينا الكشف عن ملامح التوافق والاختلاف بين المدرسين ومن ناحية مستويات البحث الثلاث فيها (المستوى النحوي، المستوى الصوتي، المستوى الصرفي).

- المستوى النحوي (التركيبي):

إنّ القواعد النحوية حسب البصريين هي القواعد التي تحدّد الصحيح من الخطأ في اللّغة لأنّها خضعت لمبدأ المعيارية الذي ارتبط باستعمال معايير اجتماعية معينة في الاستعمال اللغوي من خلال القياس والاستقراء لمعرفة مدى صحة الكلام المسموع في تقعيد القواعد، فقد قاموا بصياغة قواعد نحوية في مؤلفاتهم تعكس لنا تركيب الكلام، وهذا ما فسّرته المحاولة الأولى لأبي الأسود الدؤلي في وضعه لنقط الإعجام (الإعراب).

كما ظهر بشكل واضح ودقيق من خلال منهج سيبويه في مؤلّفه الكتاب الذي قسّم الكلام إلى «**الكلم اسم وفعل وحرف...**» [1]، كما قسّم أيضا أواخر الكلم من العربيّة مبينا أنها تجري على ثمانية مجاري وهي:«**النّصب والجرّ والرفع والجزم والفتح والضمة والكسر والوقف**»[2]، فالإعراب وسيلة لتحديد المعنى في التركيب النحوي وقد كانت نظرية "العامل" أساسا لهذا المستوى وهو وظيفة تعبر عن معاني الكلمات في التركيب، وهذا ما أكّده تمام حسان الذي اعتبر الإعراب يعبر عن معنى من المعنى [3]، في حين آخر أنكر إبراهيم

---

[1] سيبويه: الكتاب، ج1، ص 12.

[2] المصدر نفسه: ص 24.

[3] تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط5، 1975، ص 192.

أنيس تلك الوظيفة المرتبطة بالإعراب معتبرا أن تلك الوظيفة في الحركة الإعرابية، وظيفة تهتم بوصل الكلمات بعضها ببعض «**فلم تكن الحركات الإعرابية تخصّ المعاني في أذهان العرب القدامى كما يزعم النحاة بل تعدوا أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات، بعضها ببعض فصيغة الكلمة ومعناها لفهم ظروف الكلام وسياقه**»[1]، ولكن لا بدّ من الإشارة إلى أن الحركات الإعرابية ذات أهمية في تحديد معاني الكلمات في سلسلة التركيب.

إنّ اهتمام البصريين بالحركات الإعرابية يقابل المعنى الوظيفي الذي جاءت به المدرسة الوظيفية، حيث اعتبرت الوظيفة اللغوية هي المعبر عن المعنى، بصفتها تنظر إلى المستوى التركيبي من المنظور الاجتماعي الذي يحقق التواصل والإبلاغ بين الأفراد، فالوظيفيون يشتركون في الجانب الوظيفي مع الجانب الإعرابي الذي كان الركيزة الأساسية للدرس النحوي البصري؛ لأنه وسيلة لتحديد المعنى بين الكلمات والحروف، هذه الطريقة التي قسّم بها سيبويه الكلام في العربية مستندا على استقرائه للواقع اللغوي مثلا «**النّصب على الأسماء: رأيت زيدًا، وفي الجرّ مررت بزيدٍ**»[2]، وهذا ما تناوله الوظيفيون كمنهج يحدّد المستوى التركيبي للجملة، فكان منهجهم انطلاقا من تحديد الوظيفة اللغوية المحققة في سلسلة الكلام، فقد جَعَلوا المعنى الوظيفي مقياسًا في التحليل التركيبي "فالإعراب والوظيفة"، وبالرغم من اختلاف هذين المصطلحين إلاّ أنّ لهما نفس المفهوم.

من خلال هذا التصنيف بنت النظرية الوظيفية منهجها، في تحليلها البُنى التركيبية التّي تقابل أقسام الكلام عند البصريين من خلال تلك المصطلحات التي اعتمدت عليها، ومنظور الجملة الوظيفي الذي طبقه ماتيسيوس على اللغة التشيكية والإنجليزية وبعض اللغات الأوروبية وذلك بالنظر إلى مضمونها الوظيفي.

فقسّموا الجملة إلى "موضوع وخبر"، وقد أطلق على عناصر التركيب (اللفاظم)، وقام أندري مارتيني أيضا بتقسيمها، وهو ما أطلق عليه أيضا مصطلح القرائن وقال بعلاقة المسند والمسند إليه (الفعل + الفاعل) التي تمثل

---

[1] إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط5، 1975، ص 197.

[2] سيبويه: الكتاب ج1، ص 14.

علاقة ترابط وتداخل في التركيب، فمثلا:(Puerosau at pater) "يحبّ الأب الأطفال" والذي يحدّد هذه الوظيفة بين المسند والمسند إليه، هو التتابع بينهما في علاقة مسند ومخبر، ويكون المخبر يشير إلى حدثٍ يجلب إليه الانتباه والمسند يشير إلى فاعل أو مفعول، ويكون ضميرا مثل: هو يمشي، وإمّا اسما مثل الرّجل يمشي وفي رأيهم هذه القاعدة تنطبق على جميع اللغات الحيّة[1].

هذه الطريقة تشترك مع ما جاء به سيبويه إذ تناول التركيب الإسنادي للجملة والمتكوّن «من المسند والمسند إليه الاسم المبتدأ والمبني عليه والمسند إليه مثل: عبد الله أخوكَ وهذا أخوكَ، فقد يكون اسمًا وقد يكون ضميرا[2]، فالتركيب الإسنادي يكتمل بالمسند والمسند إليه في الكلام هذا التسلسل اللغوي والترابط بين الكلمات له دورُه؛ إذن نستنتج أنّ هذه الطريقة دليل على تلك الدقة والموضوعية التي اتسم بها فكر اللغويين البصريين وبالرّغم من أنهم ركّزوا على المبنى والذي ظهر في "**الإعراب**" دون تركيزهم على البنية الداخلية أو المعنى، الذي يرتبط بموقع الكلمات في التركيب النحوي.

فقد عكف البصريون إلى الاهتمام بالجانب النحوي، فغزوا كل تغيير في التركيب إلى الحالة الإعرابية، في حين وُجدت بعض الآراء من طرف باحثين محدثين أشارت إلى أنّ النحويين خلطوا بين مفهومين مختلفين هما الإعراب والحالة الإعرابية والموقع الإعرابي، إذ يرى عبد الرحمان أيّوب أنّ «**الإعراب هو تغيير أواخر الكلمات بتغيير التراكيب، وأمّا الموقع الإعرابي هو وجود علاقة خاصة بن كلمتين لا تقصدان بذاتهما وإنما المهم في تركيبهما هو هذه العلاقة نفسها، فالإعراب لا يختلف عن الكلمة لأنّه أمر ذاتي، والموقع الإعرابي أمر متغيّر**»[3]؛ فالنحو في رأيه يقوم على دراسة العلاقات بين الكلمات من الناحية التركيبية.

---

[1] أندري مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة، ص 112- 113.

[2] سيبويه: الكتاب، ص 14.

[3] بلقاسم إيمان فاطمة: المونيمات الوظيفية في المعلقات السبع "دراسة نحوية لسانية"، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2006، ص 03.

إلاّ أنه يمكننا القول بأنّ الناظر إلى جهود البصريين كانت مرتكزة على وضع قواعد لغوية سليمة المعالم تضمن الحفاظ على النص القرآني والسليقة العربية في حركات الكلمات والحروف.

أما من جهة الوظيفيين فإنهم ربطوا الجملة بتراكيبها اللغوية المختلفة (الفونيمات والمورفيمات) فيما تحققه من وظائف من خلال التتابع الذاتي للمفردات، خاصّة وأنّ اللغة لها خاصية التقطيع المزدوج إلى وحدات دالّة فاللغة في نظرهم تتحرّك ووظيفيّا؛ أي معنًى وليس مبنًى في التركيب لتحقيق التواصل وإلاّ كانت عاجزة عن ذلك فتلك العلاقة الدلالية والوظيفية تركز على الشكل والمعنى، هذه الخاصية الوظيفية وإن اختلفت عن خاصية التركيب النحوي البصري، إلاّ أن تجلياتها كانت واضحة، من خلال ما ذكره علمائها في تحليلها التركيبي (الجملة الكلمة...).

هذا ما أكده أيضا بعض الباحثين المحدثين أمثال تمام حسّان الذي اعتبر الظاهرة الإعرابية، تعبير عن معاني الكلمات ووظيفتها[1]، لأنّ اللغة في نظرهم يتحقق معناها بتلك التغيرات التي تطرأ عليها أواخر الكلمات وهي تمثل الحركات الإعرابية، وهم في ذلك على صوابٍ على حدّ قول تمام حسان وبالتالي فإن الإعراب له خاصية وظيفية دلالية.

على عكس الوظيفيين الذين اعتبروا اللغة نظاما من العلامات اللغوية تبحث بنيته، لأنه يؤدي إلى تحقيق المعنى والوظيفة لذلك نجدهم مركزين على السامع والمتكلم، لأن اللغة في رأيهم تحتوي على وحدات لغوية ذات دلالة يمكن تجزئتها إلى وحدات أصغر المورفيمات والفونيمات، والتركيب اللغوي بدوره يحتوي على أنواع من الوحدات التركيبية، والقول بأنّ اللغة قابلة للتقطيع، هو إثبات لطريقة تحليلها ووصف عناصرها، فتلك اللفاظم هي التي تحدّد السياق الدلالي ولهذا نجد اختلافا كبير يعكس تلك الوظائف المرتبطة بها.

ومن هنا برزت النظرة الوظيفية للجملة عند **مارتيني** من خلال ما ذُكر سابقا (الموضوعsubject) و(المحمول predicte)، وهذا أيضا ما عبّر عنه **ماتسيوس** من خلال ثنائيات من نحو: ثنائية الموضوعtopic، أو

[1] فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني الحديث، ص 140.

البؤرة focus...[1]، وفي رأيه أنّ المتقدّم هو الشيء المتحدّث عنه الذي يفترض المتكلم معرفة المخاطب له والمتأخّر هو الجزء المتمم للجملة الذي يضيف إلى معلومات المخاطب السابقة معلومات جديدة تتصل بالمتقدّم ومن خلال هذه الثنائية تتحقق الوظيفة الإبلاغية أو المعنى الوظيفي لتركيب الجملة، هذه الأفكار أو المبادئ التي جاء بها الوظيفيون تعبّر عن تلك التساؤلات التي ينطلق منها الوظيفيين، هل حقق هذا التركيب وظيفة أم لا.

في حين آخر نجد ذلك الاختلاف في اللغة العربية في ما جاء به البصريين في تقعيدهم للنظرية النحوية وهو ما عبّر عنه بالقرائن اللفظية والقرائن المعنوية، وإن كان للمسند والمسند إليه في الجملة العربية ذلك التشابه اللغوي التركيبي الذي أقرّه **أندري مارتيني**، إلاّ أنّ ظاهرة الإعراب تؤدّي وظيفة التمييز بين الكلمات، إذ نجد أندري مارتيني يميز بين الفاعل والمفعول من خلال ما اصطلح عليه التركيب الإسنادي الذي يتكون من عنصرين كما سبق ذكره –المسند والمسند إليه–، هما نواة الكلام أو التركيب فالجملة في مفهومها الوظيفي هي تركيب مكثف يحقق معنى بذاته، لأن التركيب يتكون من وحدات لغوية تحلل تحليلا فونولوجيا (وظيفيا).

من هذا المنطلق –التحليل الوظيفي للجملة– سعى مارتيني إلى وضع مقاييس تحد العلاقة التركيبية داخل الجملة والتعريف بوظيفتها في التبليغ وتصنيفها في صنف تركيبي معين وهي:

- الاستقلال التركيبي: يضم هذا التركيب وحدات مستقلة بذاتها تحقق وظيفة وإن تغير موقعها في التركيب.
- الوحدات الوظيفية: هي الوحدات اللغوية التي تحدد وظيفة الوحدات الأخرى في التركيب.
- موقع الكلمة في التركيب: هي الوحدات المرتبطة ببعضها البعض، إذ تتغير وظيفتها بتغير موقعها في التركيب.[2]

لقد وضع **مارتيني** منهجا للتركيب النحوي (الجملة)، تمحور حول الوظيفة النحوية والموقع في التركيب ونلمح ذلك في تحليله للكلام ليصل إلى مدى العلاقة التي تربط بين عناصر الكلام، والوظيفة المحققة خاصة وأنهم

[1] بلقاسم إمام فاطمة: "المونيمات الوظيفية في المعلقات السبع، دراسة نحوية لسانية"، ص3.

[2] خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص 101- 102.

انطلقوا من مبدأ التحليل الفونولوجي للغة كظاهرة اجتماعية تحقق وظيفة (التواصل، التبليغ، التغيير...)، وقد مثلت هذه المقولات التصنيف أو التقسيم التركيبي الوظيفي الذي ارتبط بالمعنى.

إلى نفس الاتجاه ذهب اللغويون البصريون بتصنيفهم للتركيب النحوي (الفعل، الفاعل) على أساس الاستقامة في الكلام، إذ يمكن القول أن هذا الجانب يقتصر على الجانب الدلالي لأنهم حللوا الكلام تحليلا وصفيا وفي هذا الصدد يقول سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة «**فمنه مستقيم حسنٌ ومُحالٌ ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح وما هوَ مُحالٌ كذب...فأما المستقيم الحَسَن قولُكَ أتيْتُكَ أمس وسآتيك غدا، وأمّا المحال فأن تنقض أوّلا كلامَكَ بآخره فتقول آتيتُك غدًا وسآتيك أمس**»[1].

يفسر لنا هذا القول تصنيف سيبويه للتركيب النحوي من خلال الموقع والوظيفة التي عبّر بها الوظيفيون عن منهجهم، هذا المعيار الوظيفي الدلالي عبر عنه البصريون أيضا فيما جاء به سيبويه في تصنيفه لأقسام الكلام إشارة منه إلى الاستقامة والإحالة في النحو العربي.

هذان اللفظان "الاستقامة والدلالة" يعبران عن ارتباط التركيب النحوي بالمعنى أو الدلالة لأن النحو ارتبط عندهم بتحقيق الصواب والخطأ في القواعد اللغوية، وهذا المعيار يقابل المعيار الوظيفي في البحث اللساني الذي انطلق أيضا من الواقع اللغوي (المتكلم والسامع)، فأي اختلاف في المعنى يطابقه بالضرورة اختلاف في المبنى، فلا بد أن تكون العلاقة بين الكلمات في تآلف وترابط بالعناصر الأخرى، فقد يبرز الاختلاف في طريقة تحليل التركيب إلى كلمات [2].

لقد عبّر الوظيفيون عن العلاقة بين الكلمات في التركيب بما اصطلح عليه **أندري مارتيني** التركيب المكتفي أي أنه يحقق معنى ووظيفة بذاته لا يحتاج إلى عناصر أخرى.

---

[1] سيبويه: الكتاب، ج1، ص 25.

[2] أندري مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة، ص 37.

في حين آخر عبّر سيبويه عن هذه العلاقة في باب "اللفظ للمعاني"، إذ قال «**أعلم أن أكثر من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين**»[1]، كل هذه التصنيفات مثلت منهج البصريين ونظرتهم إلى الظاهرة اللغوية التي ربطوها بالمعنى التي تحققها خصاة وأن المستوى الدلالي ارتبط بالمستويات الأخرى، ولم يظهر كدرس مستقل بذاته إلا بعد فترة من ظهور النظرية النحوية.

كشفت لنا كل من نظرة "**أندري مارتيني**" و"**سيبويه**" عن طريقتهم في تحليل ووصف النظرية النحوية التي برزت وفق المعنى والوظيفة، فلا بدّ أن يكون الشكل موافقا للمعنى، فقد عبّر عنه اللسانيون الوظيفيون بالوظيفة اللغوية التي راعت المعيار الوظيفي (الإخبار، التواصل) الموجود في النظام اللغوي، وعبّر عنه اللغويين البصريين بالإعراب الذي مثل معيار السلامة في وضع قواعد اللغة العربية.

بعد هذه المقارنة بين طريقة دراسة المستوى النحوي (التركيبي) لكلّ من البصريين والوظيفيين نجد بعض ملامح التوافق والاختلاف بين النظريتين، ولا بدّ من الإشارة إلى أن الاختلاف يعود إلى الأفكار والاعتقادات الأولى التي ارتبطت بالبحث اللغوي في بداياته، إذ ارتبط المستوى النحوي بمعيار الصواب والخطأ من خلال تحليل التركيب اللغوي ووصفه، أما الوظيفيون فقد ارتبط منظورهم بالمعيار الوظيفي في تحليل اللغة، والنظر إليها نظرة علمية وصفية بعيدا عن تلك النظرة التاريخية التي سيطرت على الدراسات اللغوية قبل ظهور النظريات الحديثة.

تجلّت ملامح التوافق في ذلك التصنيف الذي اتبعوه واعتبروه أساس التركيب النحوي الذي تمثل عند البصريين في نظرية "الإعراب"، فشملت هذه النظرية المبنى والمعنى في التركيب النحوي، ويُعتبر "التركيب الإسنادي" الأساس الذي يقوم عليه التركيب اللغوي الوظيفي، وقد مثلت هذه التصنيفات والمصطلحات منهج كل من البصريين والوظيفيين.

---

[1] سيبويه : الكتاب، ج1، ص 25.

-المستوى الصوتي:

تتداخل الدراسات اللغوية القديمة والحديثة (البصريين والوظيفيين) في مختلف مستويات البحث اللغوي، إذ تمثل محاولة لرصد تلك الظواهر اللغوية الواضحة المعالم، إذ تضافرت مختلف الجهود لإثبات تلك الأصالة الموجودة في الدرس البصري، وربطها بحداثة البحث اللغوي عند الوظيفيين، خاصة من ناحية منهجها في المستوى الصوتي.

يعتبر هذا الأخير خطوة أولى في أي بحث لغوي ذلك أنه يتناول أصغر وحدات النظام اللغوي، وقد أشار إليه علماء العربية البصريين "بالحرف"، وأشار إليها اللغويين الوظيفيين "بالفونيم" وهذان المصطلحان يعبران عن الجانب الصوتي في النظريتين.

لقد أكّدت العديد من المؤَلَّفات اللغوية التي قام بها اللغويين الأوائل من المدرسة البصرية، على وجود نظرية صوتية مستقلة في ذاتها عن المستويات الأخرى (النحوية، الصرفية)، وإن أثبت البعض أن دراستهم يشوبها الخلط هذا من ناحية، أمّا من ناحية أخرى فقد أيّد البعض تلك النظرية وحجتهم في ذلك استعمالهم لمنهج "السماع" كمنهج أساسي في تدوين لغتهم، فالدراسة الصوتية قامت على مقياس "المنطوق المسموع" من الواقع العربي لأن الصوت حدث فيزيائي وفيزيولوجي يحدث بين المتكلم والسامع وكل الأنظمة اللغوية تعالج هذا المستوى.

أمّا من ناحية الوظيفيين فقد كان "المنطوق المسموع"، هو أساس دراستهم الصوتية، وإن تميّزت بذلك الجانب الوظيفي الذي استندت عليه في نظرتها للظاهرة الصوتية في اللغة، من خلال وصفها وتحليلها وصفًا علميًّا فالتصور الوظيفي لم يبتعد عن هذه النظرية وذلك ما أقره اللغويون البصريون.

على الرّغم من تلك الاختلافات الشكلية في طريقة تحليلهم "للصوت" ووصفه، إلاّ أننا نلمح بعض المظاهر التي تبرز فيها مواطن الاتفاق بين البصريين والوظيفيين من خلال وجهات نظرهم.

لقد اعتنى البصريون بالجانب النطقي، ودراسة المستوى الصوتي، دراسة مستفيضة أثبتتها الآثار العلمية التي خلّفوها في دراسة هذا المجال، فكانت نظرتهم الأولى متجهة نحو الحرف لرسم تلك الدراسة والانطلاق منها وقد تبيّن ذلك من خلال ما عرضة سيبويه حين قال: «**أنّ أقل ما تكون عليه الكلمة حرف واحد**»[1]، لقد وصف سيبويه الحرف بأنه أصغر عنصر في الكلام، أراد أن يعبر عن تلك الصفة التي يتميز بها الحرف عن الكلمة فالصوت هو الميز لمعاني بعضها عن بعض، وقد كان هذا المنحى الذي سلكه اللغويون الوظيفيون، فالصوت عندهم يتميّز بقيمته الوظيفية عن العناصر الصوتية الأخرى.

أراد سيبويه من خلال هذا الوصف الذي أطلق على الحرف، أن يصف أصغر عنصر ينطق به اللسان وكذلك تحدّث لاحقا عن مخارجه وصفاته وخصائصه، فقد كثرت المصطلحات الصوتية في مُؤَلَّفِه والتي كان يعمد فيها سيبويه إلى الوصف والشرح والتحليل، وقد تطورت دراسة هذا المستوى –الصوتي– مع علماء البصرة، إلاّ أن التصوّر الأول كان تصوّرا فطريّا، انطلق من الملاحظة البسيطة والسمع البسيط، وكذلك الوصف المستند إلى الذوق الخاص، ومستندين إلى المنهج الذي اختاروه في نظريتهم اللغوية –السماع والقياس–.

فقد كانت الملاحظة والسمع وسيلتين لإبراز تلك الفروق الصوتية بين الحروف، فكان المبدأ الذي انطلقوا منه وصف تلك الظواهر الموجودة في الواقع العربي، وإن كانت هناك جهود أوّليَّة سبق وأن أثبتنا دلالتها في المستوى النحوي، فإن لها دلالة أخرى في المستوى الصوتي، وهي جهود أبي الأسود الدّؤلي في وضع حركات للحروف العربية.

هذه الحركات في حقيقة الأمر عبّرت عن تلك الرّموز الصوتية، كما عبّرت أيضا عن كيفية النطق؛ أي مخرج الحروف من ذلك قوله: «**إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضمت فمي**

[1] سيبويه: الكتاب، ترجمة عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982، ج4، ص 39.

فانقط نقطة من بين يدي الحرف، وغن كسرتُ فاجعل النقطة من تحت الحرف»[1]؛ وإن كانت هذه الصورة تصف الظاهرة الإعرابية إلاّ أنها تعبير عن تصور صوتي محض له دلالة التميز بين الأصوات أو الحروف عن بعضها البعض بالحركات (الفتحة، الضمة، الكسرة).

لقد مثّلت هذه الحركات الصوائت في النظام اللساني الحديث مع الوظيفيين إذ وصفها **أندري مارتيني** بأنها رموز صوتية من خلال قوله «**تُوضع أصوات اللسان بواسطة حروف وعلامات متنوعة تكونُ ذات وظيفة لسانية**»[2]، لا بدّ وأنَّ هذا التشابه في وصف حركات الأصوات، وإن اختلفت المصطلحات اللغوية يميل إلى ذلك الاهتمام والذي ظهر في طريقة ترتيب اللغويّين لصوت- البصريين والوظيفيين- الذين انطلقوا من الواقع الاجتماعي واعتماده كمقياس لقياس وظيفة الصوت، فالأولى ارتبطت بمعيار الصواب والخطأ، والثانية ارتبطت بمعيار الوظيفة التعبيرية والإبلاغية.

من خلال تطرّقنا إلى التراث الصوتي الذي جاء به البصريّون نلمح ذلك الوصف والتحليل في تأصيل المصطلحات الصوتية لدى سيبويه، وإن سبقه إلى تلك الدراسة أستاذه **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، الذي وضع معجمه وفق منهج الترتيب الصوتي للكلمات.

كان ترتيبه قائم على أساس مخارج الحروف «**فمن الحلق إلى الشفتين ترتيبا مبنيا على أساس علمي واضح، وصار هذا الوصف أوّل نظرية صوتية وضعها في معجم العين**»[3]، التفت الخليل إلى الصوت ودوره في بناء القواعد اللغوية نتيجة لجهده وطريقته في الملاحظة، وتحليل تلك الحروف، فقد تميّز بالحسّ الصوتي فلم

---

(1) عصام نور الدين: علم وظائف الأصوات اللغوية "الفونولوجيا"، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 192، ص 162.

(2) أندري مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة، ص 39.

(3) معالي هاشم علي أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة " الدكتور عبد الرحمان صالح أنموذجا"، قسم اللغة العربية، كلية البنات، جامعة بغداد، 2014،ص196.

يسبقه إليه أحد من اللغويين الأوائل، إلاّ تلك المحاولة من أبي الأسود الدّؤلي التي مثلت بذرة المحاولة الأولى لكل المستويات والنظريات في التراث العربي.

تلك الطريقة التي نهجها "**الخليل**" كانت لفهم أسرار اللغة العربية، حيث أدرك أنّ اللغة تتكون من مجموعة من الكلمات وهذه الكلمات يمكن تقسيمها إلى حروف، ومن هذا التقسيم يمكن التعرف على مخرجه وصفته ومن أدلة ذلك ما روي عن طريقته في التفسير والتحليل الصوتي «أنّه سأل أصحابه يوما، كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف في لكَ والكاف في مالكَ، والباء التي في ضربَ فقيل نقولُ باء، كاف، فقال إنّما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال أقول له وبه...»[1]، نلاحظ أنه قام بتميز الصوت ومخرجه عن طريق النطق به بالنظر إلى الاختلافات الموجودة بين الحروف.

أمّا من ناحية الدراسة الصوتية عند الوظيفيين، فإنا نستطيع القول بأن طريقتهم في تحليل الصوت، كانت لها نفس الطريقة، وإن كانت خاضعة لمبدأ التجريب العلمي، عكس البصريين الذين استعملوا الذوق والملاحظة وكلاهما يستندان إلى ذلك المبدأ الفطري، في حين أثبتته الدراسات اللسانية الحديثة أنه مبدأ علمي قام على أفكار علمية عبّرت عن النظرية الصوتية.

هذه الأفكار تتفق والمفاهيم التي جاء بها الوظيفيون، في أنّ أي حرفين في النظام اللغوي في أي لغة «**لا بدّ أن تكون بينهما جهة اختلاف واحدة، إما في المخرج أو الصفة ولو اتفق حرفان في المخرج، والصفة لما صحّ أن يسمّيها حرفين وهنا يبرز الاختلاف الوظيفي بين الحروف**»[2]، هذا الاختلاف في المعنى برز عند الوظيفيين من خلال تلك التقابلات بين الأصوات للوصول إلى المعنى الذي يحقق تلك الوظيفة، ثم إن إبراز الوظيفة اللغوية يقوم عند الوظيفيين عن طريق «**التحليل الصوتي يهدف أساسا إلى وصف كل الجزئيات التي**

[1] علي زوين: علم اللغة بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 64.

[2] فاطمة الهاشمي بكوش: نشأة الدرس اللساني العربي الحديث "دراسة في النشاط اللساني العربي، ص 115.

يتميّز بها الصوت عن الآخر...» [1]، وذلك من أجل تصنيفها وفق الوظيفة التي تؤدّيها لأن تركيزهم كان موجها للمتكلم والسامع.

لا بد لنا من الإشارة إلى أنّ البصريين ميزوا بين الأصوات عن طريق المقابلة بين الحروف من أجل وصف تلك الوظيفة التي تؤديها الحروف من خلال معانيها مثلا: معاني حروف الجرّ تختلف عن معاني الحروف الأخرى أي عن طريق المقارنة بين واقع الحروف في الجملة أو التركيب.

مما سبق نستطيع القول: أن الطريقة التي اعتمدتها البصريون في دراستهم الصوتية خاصة الخليل في دراسة الصوت من الناحية النطقية ووصف مخارجه وصفاته ألزم مختلف الباحثين على الاعتراف بفضلهم خاصّة وأن دراستهم قاربت دراسات الوظيفيين، وقد كانت هذه نظرة عبد الرحمان الحاج صالح حسين قال: «**التفت النحاة العرب منذ الخليل إلى الجانبين الصوتي والتلفظي في تحليل أصوات اللغة**»[2]، ولكن هذا الدرس ظهر كنظرية مستقلة بذاتها مع سيبويه.

نلمح تلك النظرية – الصوتية – في مؤلف سيبويه "**الكتاب**"، عندما تحدث عن مخارج الحروف وصفاتها فكان حديثه عنها ناتجا عن تلك الملاحظة البسيطة أيضا، باعتبار تلك الملاحظة كانت ركيزة الدراسات اللغوية عند البصريّين لأنها ارتبطت بمنهج (السماع)، الذي تأصل مع تقعيدهم للقواعد اللغوية، ونجد ذلك في تصنيفاته لصفات الحروف (المهموس، المجهور وأيضا الشديدة والرّخوة والمنحرف، والمكرّر واللينة، والمطبق والمنفتح) [3] ، مثلت هذه المصطلحات ذلك الوصف البسيط للوحدات الصوتية.

---

[1] عبد القادر لمهيري: نظرات في التراث اللغوي العربي، ص 235.

[2] معالي هاشم علي أبو المعالي، الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح-أنموذجا-، ص125.

[3] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 436.

كما خصص أيضا بابا في كتابه بعنوان "**الإدغام في الحروف العربية**" فقال فيه «**إنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما لا يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه...**»[1]، إن الإدغام هو وصف للحرف مستقل عن سياق الكلام الذي جاء فيه، ونلمح هذه الإشارة في الدراسة اللسانية عند الوظيفيين الذين يهتمون بتحليل الشكل الوظيفي الذي تؤدّيه الأصوات في النظام اللغوي عن طريق تقطيع تلك الوحدات الصوتية للوصول إلى أصغر الوحدات اللغوية، ذات المعنى أو الدلالة،و لا بدّ أنّ تلك الصفة التي أشار إليها سيبويه "**الإدغام**" تعبّر عن الجانب الوظيفي للتمييز بين الحروف.

اهتم كل من –البصريين والوظيفيين– بدراسة الجانب الفيزيائي والفزيولوجي فربطوا الظاهرة الصوتية "**بالمتكلم والسامع**"، خاصةً وأنّ منهج سيبويه في وصف مخارج الحروف استند على أسس ومبادئ علمية تجريبية ذلك لأنها انطلقت من المشافهة، فوصفت كيفية حدوث الصوت وربطه بأعضاء النطق، نجد ذلك في وصفه للإطباق والانفتاح إذ يقول «**وهذه الحروف الأربعة إذ وَضَعْتَ لسنانَك في مواضعهن انطبق لسانُك من مواضعهن إلى حاذي الحنك الأعلى من اللسان ترفعُه إلى الحَنَكِ، فإذا وضعتَ لسَانَكَ فالصّوت محصور فيها بين اللّسانِ والحَنَكِ إلى موضعِ الحروف**»[2]، يعبّر هذا المفهوم عن الوصف الصوتي لمخارج الحروف التي أطلق عليها سيبويه الإطباق والانفتاح، ما يدلُّ على أنّ منهجه وصفيّ بالدرجة الأولى يتسم بالعلمية التي أثبتتها الدراسات الحديثة، ويكفينا من ذلك اعتراف **جورج مونان** الذي صرّح أنّ الدرس الصوتي، في قوله: «**منذ القرن الثامن الميلادي كان علماء اللغة في البصرة يسعون إلى وصف لغتهم وصفًا صوتيًّا**»[3]؛ هذا التصريح إثبات للمنهج الوصفي الذي قامت عليه الدراسات العربية خاصة المستوى الصوتي.

---

[1] سيبويه: الكتاب، ج4، ص 436.

[2] علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 71.

[3] جورج مونين: تاريخ علم اللغة من نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، د ط، 1972، ص 107.

أما من ناحية الدراسة الصوتية الوظيفية، فإننا نلمح ذلك التوافق أو التشابه بين المصطلحات أو المفاهيم التي جاء بها "**أندري مارتيني**" في دراسته للصوت خاصّة وأنّه اعتبره وحده تمييزية، تتميز بازدواجية التقطيع، عن طريق التباين والتقابل بين الأصوات عن طريق تحليلها ووصف جزئياتها، محاولة منه لإبراز تلك الخصائص الفيزيائية المرتبطة بأعضاء النطق، وأيضا بوظيفتها اللغوية.

من مقولاته أن من الأصوات ما هي مهموسة فأطلق عليها (الصوامت) ومنها ما هو مجهور (الصوائت) ومن أمثلته على ذلك: في كلمة سلام عبر عن صوت (س) بأنه مهموس، بينما صوت (ز) في كلمة زهر مجهور ففسّر الأوّل بأنه حدث نتيجة احتكاك محسوس، أمّا الثاني فحدث نتيجة لطول الأوتار الصوتية[1]، هذه الطريقة التي اتسمت بالوصف والتحليل العلمي، وإن كان المنطلق ذاته، أي من الواقع اللغوي (متكلم سامع)، فهو وصف فيزيائي فيزيولوجي للكلام ربطوه بالوظائف اللغوية أو بالمعنى الذي يحقّقه، هذه الصورة كانت غائبة في الوصف البصري لأنهم ربطوا دراستهم بمبدأ (الصواب والخطأ) فنظرتهم كانت معيارية اتخذت كلام العرب الفصيح مقياسًا لصحة القواعد العربية، حتى في المستوى الصوتي.

إذا ما عدنا إلى أسلوب **أندري مارتيني** نجده اتبع تقسيمات مخارج الأصوات وصفاتها وأعطى أمثلة لكل تقسيم من التقسيمات وهي كالآتي: (الشفهية، الذولقية، الصفيريّة، الظهرية، الشجرية، الظهرية الخلفية، الحنجرية النفخية) [2]، ثم مثل لذلك التقسيم من خلال الجدول الآتي:

[1] أندري مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة، ص 40.

[2] المصدر نفسه، ص 46- 53.

	شفهي	شفهي أسناني	ذولقي	صفيري	متفشي	شجري	ظهري مستعملي
مهموس	أ	ف f	ت t	س s	ش š		ك k
مهجور	ب b	v	د d	ز z	ج ž		ق g
أعنى	م m		ن n			j^n	

هذا التمثيل البياني وضعه أندري مارتيني لتوضيح بعض العلاقات الصوتية بين تلك المصطلحات الصوتية التي جاء بها. [1]

أمّا إذا عدنا إلى الدرس الصوتي عند البصريين، فإننا نلاحظ أن التقسيم الذي قام به أندري مارتني في الدراسات الصوتية الحديثة، يوحي ببعض التشابهات بالتقسيم الذي قام به سيبويه وإدخاله مصطلحات جديدة عبّرت عن مخارج الحروف وصفاتها من حيث قوله أنّ «**الحروف العربية ستّة عشر مخرجًا فللحق منها ثلاثة فأقصاهَا مخرجًا الهمزة والألف والهَاء، ومن أبسط الحلق مخرجًا العين والحاءَ أدناها مخرجًا من الفم: العين والخاوءُ ومن أقصى اللسان وما فوقه ومن الحنك الأعلى مخرج القاف: ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلًا، وممّا يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف، ومن وسط اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الغناء...**» [2]

لقد قام سيبويه بوصف حروف العربية- الأصوات- ومن خلال ذلك الوصف قام بتقسيمها حسب أعضاء النّطق ومن المصطلحات التي أكّدت على تلك التقسيمات (الحلقية، الحروف اللسانية، الأسنانية الشفوية، الخيشوميّة)، ثم يعود ليعطي مفاهيم لتلك المخارج والصفات، فمثلا: قوله من الخياشم مخرج النّون الخفيفة، ويقوم

[1] أندري مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة ص 69.

[2] سيبويه: الكتاب، ص 431- 432.

بشرح بعض الصفات التي تحدّث عنها مثلا: «**فالمجهورة: حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يرى معه حتى ينقضي الاعتماد (عليه)، ويجري الصوت فهذه حال المجهورة في الحلق والفم...**» [1]

هذه الدقة التي وصل إليها المستوى الصوتي مع سيبويه في وصف مخارج الحروف وصفاتها، وهذا ما أثبتته الدراسات الحديثة من خلال الصدى الذي لقيه منهج البحث الصوتي عند البصريين، ومن الأمثلة التي حاولنا توضيحها من خلال تقسيمات سيبويه لمخارج الحروف ما يلي:

الحرف	المخرج	الصفة
و	ما بين الشفتين	مجهورة
ب	ما بين الشفتين	مجهورة
ق	باطن الشفة وأطراف الثنايا العليا	مجهورة

من خلال ما جئنا به فإننا نلمح ذلك التوافق وإن كان بشكل عرضي لا جوهري، نتيجة لاعتمادهم نفس التقسيم لمخارج الأصوات وكذلك بعض الصفات، وإن كان الاختلاف اختلافًا تصنيفيًا، وكذلك اختلاف في بعض المصطلحات المستعملة للتعبير عن المخرج أو الصفة، إلاّ أنّهم –البصريين والوظيفيين– اعتمدوا على الصوت البشري المنطوق المسموع؛ أي اهتمامهم بالجانب 'الفيزيائي والفزيولوجي"، عن أنّ الوظيفيين فسّروا الصوت تفسيرًا وظيفيًّا مرتبطًا بالوظائف التي يحققها في الواقع الاجتماعي من تواصل وتبليغ، ولذلك استند إلى أسس علميّة تجريبيّة.

[1] سيبويه: الكتاب، ص 434.

أمّا منهج البصريين وإن امتاز بتلك الدّقة والموضوعية بتفسيرهم لطبيعة الصوت في حدّ ذاته وبيّنوا مخرجَهُ وصفته، وفي الجانب الثاني اهتموّا به في داخل السياق، «**فوصفوا ما يصيبه من تغيّرات متمثلة في ظواهر كالإعلال والإبدال، والإدغام والحذف**»[1]، وقد ظهر ذلك من خلال ما وصفه الخليل وسيبويه في الأصوات العربية، أما الوظيفيين فقد عمدوا إلى «**استخراج المعنى الوظيفي للنمط الصوتي في النظام اللغوي الشامل**»[2]، في منهجهم العلمي التحليلي.

من هذه المقارنة نخلص إلى أنّ دراسة المستوى الصوتي عند البصريين قد لا يصل إلى ذلك التوافق الكبير من وجهة نظرنا، إلاّ أنه قد كانت بعض الملامح التي تدلّ على التشابه، خاصّة من ناحية دراسة مخارج الأصوات وصفاتها، وإن اختلفت في بعض المصطلحات التي انتهجتها كطريقة في تصنيفاتها مع الخليل وسيبويه، وقد ظهرت مع **أندري مارتيني** في الدراسات الحديثة.

تبقى هذه الدراسة محاولة لإثبات أصالة الدرس الصوتي العربي (البصريين)، من خلال معرفتنا بوجود بعض وجوه التشابه في منهج دراسة "**الصوت**" مع الدرس الصوتي الحديث (الوظيفيين)، وإن لم تتعرض لبعض الجزئيات اللغوية.

-المستوى الصرفي:

لا بدّ أن للمستوى الصرفي تلك المكانة اللغوية التي حظي بها المستوى النحوي والصوتي من حيث طريقة بناء القواعد اللغوية، وهذه الأخيرة حظيت باختلاف طريقة اللغويين في دراسته.

---

(1) معالي هاشم أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة "الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح" أنموذجا، ص 196.

(2) أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 137.

من منظور المنهج الذي ارتأته كل نظرية –البصرية والوظيفية– للبحث في هذا المستوى وتقعيده، نجد خصوصية من ذلك ارتباطه بالجوانب الأخرى، فقد ارتبط في البحث اللغوي البصري بالدرس النحوي، ما جعل بعض الباحثين يُقرّون بوجود خلط في دراسة مستويات اللغة العربية خاصة مع العلماء الأوائل، أما من ناحية الوظيفيين فقد ارتبط هذا المستوى بالمستوى الصوتي الذي يدرس الوحدات الصوتية.

كل لغة تتطلب الدراسة من الناحية الصرفية التي تهتم بالكلمة أو اللفظة بعيدا عن سياقها اللغوي «**فالمستوى الصرفي يدرس التغيرات التي تطرأ على صيغ الكلمات فتحدث معنى جديدًا، وقد تكون الوحدة الصرفية حركة واحدة كالضمة أو الفتحة أو الكسرة أو النون، وقد تكون حرفا أو أكثر، فاللفظة ضربٌ أفادت الضرب في الزمن الماضي،ولو غيرنا الفتحة بضمّة ثم كسرنا الوسط لأصبحت ضربَ ونتجَ معنى آخر، وهو الضربُ من مجهول في زمن ماضٍ، وكلّ وحدة صوتية ذات معنى زيدت على الجذر تسمى مورفيم أو وحدة صرفية**»[1]، لابدّ وأنّ هذا التعريف شامل لوصف المستوى الصرفي وطريقة في دراسة الكلمات من ناحية بنيتها وصيغتها، هذه الطريقة التي اتبعها كلّ من البصريين والوظيفيين في دراستهم.

تفطّن اللغويين الأوائل إلى أنّ الكلمة بنية في حدّ ذاتها، تطرأ عليها العديد من التغييرات ما أدّى بهم إلى وصفها بداية بما قام بها سيبويه «**الكلم اسمٌ وفعل وحرف**....»[2]، هذه الوحدات الصرفية قسمها سيبويه إلى نوعان الأسماء والأفعال المتصرفة، والأسماء المتصرفة وحروف المعاني، وهذه الأشياء والأفعال تحمل معنى في ذاتها ونجد هذا المفهوم في النظرية الوظيفية التي اعتبرت أن المستوى الصرفي هو دراسة أصغر وحدات التحليل القواعيدي في تركيب الكلمات، إلاّ أنهم أطلقوا عليه مصطلح "المورفيم" وانطلقوا من تحليلها تحليلاً وظائفيا اعتمدوا على

(1) سلمى بركات: اللغة العربية "مستوياتها وقضاياها"، دار البداية، الأردن، ط1، 2007.

(2) سيبويه: الكتاب، ج1، ص 12.

الشكل والبنية الداخلية بعيدا عن السياق من خلال التقطيع المزدوج، ذلك أن التحليل الوظيفي غلب على الدرس اللساني الوظيفي لأنّ معيار بناء قواعدهم.

إنّ أول ما نلاحظه في القواعد البصرية في الدرس الصرفي هي ملامح الوصف والتحليل للبنية العربية – الكلمة– التي قامت على أساس النصوص المختارة، وهذا ما اضطرّهم إلى التفسير والتأويل في تقعيد الظاهرة اللغة التي ارتبطت بأحكام تعليمية معيارية، وكلّ هذه الأسس أبدت المعطيات الوصفية التي قام عليها المستوى الصرفي من ذلك الوصف، وصف سيبويه لأبنية الأفعال في قوله «**الأفعال تكون من هذا على ثلاثة أبنية: على فعل،يَفْعَلُ، وفَعَلَ، يفْعَلُ، ويكون المصدر فعلاً والاسم فاعلاً فأمَّا فَعَلَ، يَفْعَلُ، ومصدره فقتل يقتل قتْلاً والاسم قاتِلٌ**»[1]، وميز سيبويه هذه الأفعال ووصفها وفقا لما اتبعه في البحث اللغوي –المقياس– ومن ذلك قوله «**وبعض القرب تقولُ: كتبًا على القياس ونظيرهُ سُقتهُ سياقًا**»[2].

لقد ربط البصريون بين المبنى والمعنى في هذا الجانب أيضا، فركّزوا على ما تحمله من جلالة في ذاتها من خلال صيغها وموقعها، فكلّ أبنية التّصريف لها تفسير شكلي لأنّ الصّرف جزءٌ من النّحو، فكلّ تفسير جاءَ بالمعنى الوظيفي مثلاً (الحذف، الإعلال، الإبدال، الاشتقاق، أوزان الأفعال، المصادر...).

إذا كانت الدراسة الصرفية عند البصريين قد ارتبطت بالميزان الصرفي ودراسة الفعل بدلالته الزمنية الثلاث (الماضي، المضارع، الأمر)، وقد أدرج سيبويه الأبنية الصرفية في عدة أبواب مثلت تصنيفات الدرس الصرفي.

أما الوظيفيون فقد اهتموا بالجانب الشكلي في تحليلهم الوظيفي للكلمة (المورفيم)، إذ اعتبر أندري مارتيني أن الوحدات الصرفية يمكن تقسيمها إلى وحدات أصغر (المورفيم)، لأن هذه المونيمات مرتبطة ببعضها البعض مما يفضي عليها صبغة وظيفية تحدد من خلالها وظيفة المونيمات السابقة لها، ولهذا ربط الوظيفيون المستوى الصرفي

[1] سيبويه: الكتاب، ج1، ص 06.
[2] المصدر نفسه، ص 07.

بالمستوى الصوتي وأطلقوا عليه المقطع أو المورفيم الصرفي، كما ميّزوا بين مورفيم وآخر من خلال تحويل المفرد إلى الجمع، أو الاسم إلى الفعل[1].

لهذا ربطوا بين وظائف الصوت اللغوي (الفونيم) والصرف والاشتقاق من ناحية المعنى الوظيفي أي وجود ترابط بين المورفيم والفونيم في الدلالة الوظيفية من خلال تحليلاتهم للكلمة تحليلا صوتيا وصرفيا.

حدّد الوظيفيون الكلمة (المورفيم) عن طريق التحليل أو التقابل بين تلك الوحدات من أجل معرفة زمن الأفعال (الماضي، المضارع، الأمر)، فلا بدّ من إخضاع تلك الكلمات إلى التقطيع مع كلمات أخرى ومعرفة الضمائر للتفريق بين زمن تلك الأفعال.

المورفيم هو أساس التحليل الصرفي في النظرية الوظيفية، لأنه يعبّر عن العلاقة الدلالية التي تعتري أبنية الكلمات أو الصيغ مثل: اللواصق، التغيّرات الداخلية، الأفعال، الأسماء، والصفات...)فقد كان اهتمامهم بالشكل وتحليله تحليلا وظيفيا.

من هنا نستنتج أن الدرس الصرفي البصري، فقد ارتبط بالمستوى النحوي إلى حدّ ما، فكان وصفيا بالدرجة الأولى، خاصّة وأن البحث اللغوي البصري في مجمله استنادا إلى الوصف والتعبير البسيط لأن الغاية منه هي وضع قواعد لغوية لصيانة اللسان العربي والحفاظ على النص القرآني، أمّا الدرس الصرفي عند الوظيفيين اتجه وجهة أخرى نحو التحليل للوصول إلى تلك الأبنية التي تتميز من خلالها الأفعال والأشياء عن طريق التحليل الشكلي (التقطيع المزدوج)، فركّزوا على المورفيم (الوحدة الصرفية التي تحمل معنى في ذاتها)، كما ارتبط أيضا هذا المستوى بالمستوى الصوتي، فكل من البصريين والوظيفيين اهتموا بالجانب الشكلي والوظيفي لبنية الكلمة في بناء القاعدة الصرفية وإن اختلفت طريقتهم في الوصف والتحليل وأيضا تصنيف الأبنية الصرفية.

[1] أندري مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة، ص 37.

الخاتمـة

وأخيرا بعد تلك المحاولة التي أردنا من خلالها معرفة منهج البحث اللغوي في الدراسات العربية والغربية ووقوفا منّا على الطريقة التي انبنت عليها قواعد اللغة، من خلال إعادة قراءة ووصف القديم وربطه بالحديث فلم تكن غايتنا إبراز ذلك التوافق أو التطابق بين الدراسات العربية والغربية، وإنّما معرفة تلك الأفكار والتصورات التي قامت عليها النظريتين اللغويتين.

أمّا عن النتائج التي حققتها الدراسة فيمكن إيجازها في ما يلي:

- انطلاق البحث اللغوي البصري من الواقع الاجتماعي واعتماده على السماع كمنهج في جمع اللغة العربية في حدود زمانية ومكانية.
- تأثر البحث اللساني الوظيفي بالمنهج الوصفي العلمي لدوسوسير.
- اعتماد البصريين على المعيار الاجتماعي في قياس قواعد اللغة، على عكس الوظيفيين الذين اعتمدوا على المعيار الوظيفي.
- اتصاف الدراسات البصرية بالوصف البسيط المستند إلى الذوق والفطرة الخاصة باللغويين، لأن هدفهم كان تحقيق الصواب ودفع الخطأ عن اللغة العربية، في حين آخر درس الوظيفيون اللغة دراسة وصفية تحليلية لأن اللغة في نظرتهم ظاهرة اجتماعية تحقق التواصل.
- ارتباط البحث اللغوي البصري بالمعيارية التي لا تخلُ من الرؤية العلمية، أمّا البحث اللساني الوظيفي قد كان بعيدا عن تلك النزعة التعليمية والأحكام المعيارية.
- تجاوز الوظيفيين للدراسة السطحية لعناصر التركيب اللغوي إلى التحليل الوظيفي، أمّا البصريين فقد كانت دراستهم وصفا لعناصر التركيب اللغوي، والنظر إليه بمنظار الصواب والخطأ الذي تمثل في الإعراب.
- في نطاق الحديث عن المنهج الوصفي فقد ارتبط بالدراسة اللغوية والنحوية العربية والدراسات اللغوية الغربية الحديثة.
- وجود التوافق في تصنيف وتقسيم عناصر التركيب النحوي عند البصريين والوظيفيين (التركيب الإسنادي، المسند والمسند إليه).
- ربط البصريون عناصر التركيب النحوي بالمعنى (العلاقة بين اللفظ والمعنى).
- نظر الوظيفيون إلى اللغة كنظام من العلامات تبحث بنيته، من خلال المعنى الوظيفي.

– وجود ملامح التوافق في دراسة المستوى الصّوتي بين المدرستين لدرجة وجود التشابه في المصطلحات الصوتية المستعملة.

– اعتمادهم على نفس التقسيم وفق مخارج الحروف وصفاتها (الجهر والهمس).

– اعتماد الدرس الصوتي البصري والوظيفي على الجانب الفيزيائي والفزيولوجي ووصفها (المتكلم والسامع)، مع تركيز الوظيفيين على استخراج المعنى الوظيفي للنمط الصوتي في النظام اللغوي الشامل.

– قيام الدرس الصوتي البصري على أساس الملاحظة والوصف البسيط، أما الدرس الصوتي في النظام اللغوي الشامل.

– قيام الدرس الصوتي البصري على أساس الملاحظة والوصف البسيط، أما الدرس الصوتي الوظيفي فقد كان درسا تجريبيا وصفيا.

– اتخاذ الكلمة (المورفيم) أساس القاعدة الصرفية في الدراسات العربية والغربية.

– وجود خلط في دراسة المستوى الصرفي عند البصريين وربطه بالمستوى النحوي.

– وصف العناصر الصرفية في النظريتين (اللفظ وأقسامه، المورفيم...).

لذلك من الضروري في هذا المقام الدّعوة العامة للعودة والاهتمام بالتراث اللغوي العربي، ومحاولة قراءته لمعرفة مناهجه في الدراسات اللغوية التي وصلتنا جذورها، ومقارنتها بالدراسات الحديثة، وإن لم يكن هناك توافق بين الدراستين، إلاّ أن هناك بعض القضايا اللغوية الحديثة لها جذور في الدراسات القديمة، وكذلك الكشف عن الصلة الحقيقية بين منهج البحث البصري من جهة ومحاولة إسقاط هذا النموذج على منهج الدرس اللساني الوظيفي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ- القرآن الكريم:

ب- المصادر:

1. أندري مارتيني: مبادئ في اللسانيات العامة، دار الآفاق، دب، دط، دس.

2. سيبويه: أبي بشير عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1.

3. سيبويه: الكتاب، ترجمة عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1982، ج4.

ج- المعاجم:

1. إبراهيم مصطفى أحمد حسن الزيات وآخرون: معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، د ط، د س، ج1.

2. ابن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد ابن مكرم الأنصاري: لسان العرب، تحقيق عامر أحمد جبور، عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005.

3. ابن منظور جمال الدين أبي الفضل مكرم ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، د س، مادة نهج.

4. الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، تحق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، د س، ج1.

5. الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، مكتبة لبنان، دب، ط1، 2004.

د- المراجع:

1. إبراهيم السّامرائي: المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر، د ب، ط1، 1987.

2. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط5، 1975.

3. إبراهيم عبود السامرائي: المدارس النحوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط2، 2010.

4. أحمد حساني: مباحث في اللسانيات "مبحث صوتي، دلالي، تركيبي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 199.

5. أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم النشر، القاهرة، ط6، 1988

6. أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2004.

7. البدراوي محمد عبد العزيز: مقدمة في علوم اللغة، دار المعارف، مصر، ط2، 1986.

8. بريجيتة بارست: مناهج علم اللغة من "هرمان باول حتى ناعوم نشومسكي"، ترجمة سعيد حسن بحيري، ط1، 2004.

9. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 2000.

10. تمام حسان: اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، دط، دس .

11. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط5، 1975.

12. التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دس.

13. جرهارد هلبش: تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، ط1، 2003.

14.جورج مونين: تاريخ علم اللغة من نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، د ط، 1972.

15.حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي الاستقراء، التحليل، التفسير، دار الشرق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002.

16.حمودي زين الدين المشهداني: الدراسات اللغوية "خلال القرن الرابع الهجري"، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط1، 2005.

17.حنيفي بن ناصر مختار لزعر: اللسانيات منطلقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، دب، ط2، 2011.

18.حنيفي بن ناصر، مختار لزعر: اللسانيات منطقاتها النظرية وتعميقاتها المنهجية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2011.

19.خديجة الحديثي: المدارس النحوية، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط3، 2003.

20.خليل أحمد عمايرة: دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصر "منهج وتطبيق"، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1984.

21.رشيد حليم: المنهج اللغوي العربي والبحث اللساني، "دراسة مقاربتيه في اللسانيات وأصول النحو"، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.

22.رشيد زرواتي: منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية "أسس علمية وتدريبية"، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د ط، 2004.

23.رمضان عبد التواب: مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997.

24. سعيد جاسم الزبيدي: القياس في النحو العربي نشأته وتطوره، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1997.

25. سعيد حسن البحيري: المدخل على مصادر اللغة العربية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2008.

26. السعيد شنوقة: مدخل إلى المدارس اللسانية، دار السلام الحديثة، القاهرة، ط1، 2008.

27. سلمى بركات: اللغة العربية "مستوياتها وقضاياها"، دار البداية، الأردن، ط1، 2007.

28. السيرافي القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله: أخبار النحويين البصريين، تحق: طه محمد الزنيبي، محمد عبد المنعم خفاجي، ملتزم الطبع وللنشر، دب، ط1، 1955.

29. شرف الدين الراجحي وآخرون: العربية وعلم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 2003.

30. شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2004

31. شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، د س.

32. صادق يوسف الدّباس: دراسات في علم اللغة الحديث، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012.

33. صالح بلعيد: في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث، درا هومة، الجزائر، دط، 2005.

34. صالح لحلولي: محاضرات في منهجية البحث العلمي في اللغة والأدب العربي، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2016.

35. صلاح روى: النحو العربي نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2003.

36. عبد الرحمان السيد: مدرسة البصرة النحوية، نشأتها وتطورها، دار المعارف، مصر، ط1، دت.

37.عبد الرحمان الهاشمي، محسن علي عطية: تحليل محتوى ومناهج اللغة العربية "رؤية نظرية وتطبيقية"، دار صفاء للنشاط والتوزيع، الأردن، ط1، 2009.

38.عبد القادر المهيري: نظرات في التراث العربي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 193.

39.عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002.

40.عبد الله أحمد جاد الكريم: الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2004.

41.عبد المجيد عيساني: أصول وشواهد الاتجاهات النحوية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2011.

42.عبده الرّاجحي: دروس في المذاهب النحوية، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1980.

43. عصام نور الدين: علم وظائف الأصوات اللغوية "الفونولوجيا"، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 192.

44.علي أبو المكارم: تقويم الفكر النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2005.

45. علي زوين: منهج البحث اللغوي "بين التراث وعلم اللغة الحديث"، دار الشؤون الثقافية العامة، دب، ط1.

46.علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط9، 2004.

47.علي مزهر الياسري: الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط1، 2003.

48.عوض الفوزي: المصطلح النحوي "نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري".

49.فاطمة الهاشمي بكوش: الدرس اللساني العربي الحديث "دراسة في النشاط اللساني العربي".

50.الفضلي عبد الهادي: أصول البحث، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، إيران، د ط، دب، دس.

51.فيصل مفتاح حداد: منهجية البحوث والرسائل العلميّة "دراسة منهجية"، ليبيا، ط1، 2008.

52.كريم حسين ناصح الخالدي: منهج التأليف النحوي، دار صفاء للشر والتوزيع، عمان، ط1، 2007،.

53.ماريوباي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد عمر مختار، عالم ا لكتب، ط9، 1998.

54.محمد علي عبد الكريم الرديني، شلتاغ عبود: منهج البحث الأدبي واللغوي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، د ب، د ط، 2010.

55.محمد محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2001

56.محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، د س.

57. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د س.

58.مصطفى غلفان: في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها ومفهومها، دار الجديد المتحدة، ليبيا، ط1، 2010.

59.نادية رمضان النجار، عبد الراجحي: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار وفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، دط، دس.

60.نعمان بوقرة: اللسانيات، اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2009.

هـ- المذكرات والأطروحات:

1. إبراهيم محمد إبراهيم محمد عثمان: مناهج البحث اللغوي ومدارسه، جامعة باجي مختار- عنابة، دط، دس.

2. بلقاسم إيمان فاطمة: المونيات الوظيفية في المعلقات السبع "دراسة نحوية لسانية"، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2016.

3. معالي هاشم علي أبو المعالي: الاتجاه التوافقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة " الدكتور عبد الرحمان صالح أنموذجا"، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه بإشراف الأستاذ المساعد الدكتور بان صالح مهدي الخفاجي، قسم اللغة العربية، كلية البنات، جامعة بغداد،2014.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**أ-ب-ج-د**
مدخل: نشأة الدراسات اللغوية العربية والغربية.	
أ- بداية الدراسات اللغوية عند العرب.	**19**
ب- بداية الدراسات اللغوية عند الغرب.	
الفصل الأول: مناهج البحث اللغوي.	
1/ مفهوم المنهج.	**18**
أ- لغة.	**18**
ب- اصطلاحا	**19**
2/ مفهوم البحث	**23**
أ- لغة.	**23**
ب- اصطلاحا	**25**
3/ أنواع المناهج اللغوية.	**27**
أ- المنهج الوصفي.	**27**
ب- المنهج التاريخي.	**30**
ج- المنهج المعياري.	**33**
د- المنهج المقارن.	**36**
الفصل الثاني: منهج البحث اللغوي في المدرسة البصرية والمدرسة الوظيفية.	
I. المدرسة البصرية والدرس اللغوي.	**40**
أ- نشأتها	**41**

فهرس الموضوعات:

ب- أبرز أعلامها.	**43**
2/ مصادر الدراسة البصرية	**47**
أ- القرآن الكريم	**48**
ب- القراءات القرآنية	**48**
ج- الحديث النبوي الشريف.	**49**
د- الشعر.	**50**
هـ – الشواهد النثرية.	**51**
3/ خصائص المدرسة البصرية.	**52**
4/ منهج البصريين	**53**
أ- السماع	**54**
ب- القياس	**56**
5/ البحث اللغوي عند البصريين.	**59**
أ- المستوى النحوي (التركيبي)	**59**
ب- المستوى الصوتي.	**60**
ج- المستوى الصرفي	**61**
II. المدرسة الوظيفية والدرس اللغوي.	**63**
أ- نشأتها.	**63**
ب- أبرز أعلامها.	**65**
2/ مبادئ المدرسة الوظيفية.	**69**
3/ منهج الوظيفيين.	**71**
أ-تحديد اللغة.	**71**
ب- تحليل اللغة ووصفها.	**71**
ج- المنهج الآني (الوصفي).	**72**
د- المنهج المقارن.	**73**
4/ البحث اللغوي عند الوظيفيين.	**73**
أ- المستوى الصوتي.	**73**
ب-المستوى النحوي (التركيبي)	**74**

فهرس الموضوعات:

ج- المستوى الصرفي.	**75**
الفصل الثالث: دراسة مقارنة بين منهج البحث اللغوي فى المدرسة البصرية والمدرسة الوظيفية.	
1/ ملامح التوافق والإختلاف.	**78**
أ- المنهج بين البصريين والوظيفيين.	**78**
ب- منهج البحث اللغوي بين البصريين والوظيفيين.	**85**
المستوى النحوي.	**85**
المستوى الصوتي.	**92**
المستوى الصرفي	**101**
الخاتمة	**105**
قائمة المصادر والمراجع	**107**